وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة–

كلـية الأدب واللغات

قسم الأدب واللغة العربية

ثـنـائـيـة الـخـوف و الـرجـاء فـي شعـر الـزهـد فـي الأنـدلـس الإلـبـيـري " أنـمـوذجـا "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللّغة العربية

تخصص أدب قديم

إعداد الطالبة:

* زهرة نوي

إشراف الأستاذ:

*جودي عبد الحميد

السنة الجامعية: 1434/1433هـ

2013 /2012 م

(قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)

صدق الله العظيم

سورة البقرة : الآية واحد وثلاثون

دعاء

الهي لا تُعذَبْ لسانا يخبر عنك، ولا عينً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدَمًا تمشي إلى خدمتك ولا يَدًا تكتب حديث رسولك، فبعزتك لا تُدخلني النار، فقد علم أهلها أني كنتُ أَذُبُّ عن دينك...

ابن الجوزي

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرّحيم

من منطلق قول الرّسول الكريم عليه الصّلاة وأزكى السّلام في الحديث الشّريف : **"مَنْ لاَ يَشكُرِ النّاسَ لاَ يُشكَر اللهُ"**

الحمد لله حمدا كثيرا على ما منحنا من قوة وصبر وتوفيق لإتمام هذا البحث . أما بعد:

أتوجه بكل عبارات الاحترام والتّقدير إلى أستاذي الفاضل "جودي عبد الحميد " على ما قدمه لي من مساعدة وحسن توجيه وإشراف على هذا العمل.

كما أتقدم بكل آيات التقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع أساتذتنا الأفاضل أعمدة قسم الآداب واللغة العربية جامعة محمد خيضر –بسكرة-.

و في الأخير أتقدم بالشّكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل راجية المولى عزّ وجل أن يتقبل منا سائر أعمالنا ، ويوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه .

-آمين يا ربّ العالمين-

خطة البحث

مـــــــــقـدمـة

مـــدخل : حيـاة الـشـاعر وشعره

الفصل الأوّل : ماهية الزّهد وحضوره في الشعر العربي

1- الزهد لغة .

2- الزهد اصطلاحا.

3- دوافعه.

4 - الزهد في الشعر العربي.

الفصل الثّاني: ثنائية الخوف والرّجاء في شعر الإلبيري .

1 - ماهية الخوف .

2 - ماهية الرّجاء.

3 - ثنائية الخوف والرّجاء في شعر الإلبيري.

الخاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات .

مقدمة

عرف الشعر الأندلسي الاتجاه الزهدي في العصور الأولى في (ق 2 هـ) لما آثرته نخبة من الشعراء ونزعت إليه راغبة فيه، كـ ابن عبد ربه وابن أبي زمنين على أن فارسي هذا الاتجاه، على رأي –شاكر الفحام– الذين أبدعا فيه وجعلا منه فنا قائما بذاته هما ابن العسال وأبو إسحاق الإلبيري الفقيه الزاهد، هذا الوصف استرعى اهتمامنا، وحفزنا على تقفي سيرة "**أبي إسحاق الإلبيري**" ودراسة شعره.

وبما أن قلب الزاهد دائما متعلق بالدّار الآخرة، والتفكير فيها يحتل الصدارة في عقله، فهو يحيا منتظرا لها ومرتقبا مصيره، أفي الجنة أم في النّار؟ وهذا المفهوم راسخ وثابت في الدين الإسلامي لذلك نجد قلب الزاهد تتنازعه ثنائية الخوف والرّجاء في الحياة وبعد الموت، وموضوع هذه الدراسة ثنائية الخوف والرّجاء في شعر الزهد في الأندلس– الإلبيري أنموذجا– الذي لم توفه الدراسات حقه ولم تتعرض إلى هذا الغرض بالدرس العميق هو الذي حفزني على البحث في هذا الموضوع، والسبب الآخر أن حاضرنا لا يصلح إلاّ بما صلح به أولنا فنحن لسنا خيرا منهم.

والدافع الأخير والأهم هو إظهار مدى ملازمة الخوف والرّجاء لبعضهما البعض وفي شعر الإلبيري.

ولعل تميز الإلبيري عن غيره من الشعراء يدفع بنا إلى طرح بعض الإستفهامات التالية:

بماذا تميزت شخصية الإلبيري؟ بماذا تميزت ثنائية الخوف والرجاء في شعره ؟

وللإجابة عن هذه الإستفهامات وغيرها حاولنا أن نتناول أهم المحطات في حياته، وذلك من خلال مسيرته الذاتية، كما تناولنا بعض الجوانب في شعره من خلال ديوانه بغية استكشاف مضمونه مستعينين في ذلك ببعض المناهج النقدية: كالمنهج التاريخي، والنفسي، والوصفي، لأن طبيعة موضوع الدراسة تقتضي الاستعانة بهذه المناهج النقدية. وغايتنا في ذلك بعث هذا الشاعر من الماضي المنسي إلى الحاضر بالبحث والدرس.

وحتى تتسم دراستنا بالجدية والدقة في التحليل اتبعنا الخطة الآتية:

مقدمة البحث، ثم نستهل الدراسة بمدخل تستعرض فيه أهم المحطات البارزة من حياة الشاعر.

وقسمنا البحث إلى فصلين:

– **الفصل الأول:** تضمن ماهية الزهد وحضوره في الشعر العربي، محاولين إبراز أهم دوافع هذا الغرض ومسيرته في الشعر العربي.

– **الفصل الثاني:** ثنائية الخوف والرجاء في شعر الإلبيري، حاولنا فيه أن نبرز مفهوم الخوف والرّجاء، وكيف برزت هذه الثنائية في شعره.

ليخلص البحث إلى خاتمة هي عبارة عن خلاصة هذه الدراسة، وحتى تتحلى هذه الدراسة بأحسن حلة استعنا ببعض المصادر والمراجع من أهمها: ديوان الشاعر أبي إسحاق الإلبيري، وبغية الملتمس للضبي، وإحياء علوم الدين للغزالي، ونفح الطيب للمقري، ...الخ، وغيرها من المصادر والمراجع التي لا يتسع المجال لذكرها كلها على الرغم من أهميتها، والتي كانت بفضل من الله النبراسَ الذي أنارَ لنا السّبيل لتنتهي الدراسة إلى هذه الغاية .

وكأي بحث تعرضت لعدة صعوبات هي: قلة المصادر والمراجع التي تحدثت عن ثنائية الخوف والرّجاء.

كما أنني في البداية شعرت بالحيرة والارتباك ومحدودية القدرة على الخوض في دراسة هذا الموضوع؛ لكن بالصبر وتوجيه الأستاذ المشرف استطعت ولو بجزء بسيط أن أرفع التحدي وأواصل المغامرة في طرق هذا الموضوع.

بالإضافة إلى هاتين الصعوبتين اعترضتني صعوبة أخرى تمثلت في افتقار المكتبة إلى الدراسات أكاديمية تتناول هذا الموضوع، وما وجد منها فهو قليل ولا يفي بالغرض لهذا أرجو أن يتكفل غيري باستكمال ما أغفلته دراستي .

وفي الأخير الشكر كل الشكر **لله** أولا وآخرا على فضله وعونه وتوفيقه، كما أسأل الله العظيم أن يجعلنا ممن آثره واجتباه وأرشده إلى الحق وهداه.

كما أقدم شكري الخاص إلى أستاذي المشرف 'عبد الحميد جودي' على اهتمامه بالموضوع وعلى توجيهاته الرّشيدة، وتشجيعه الذي أكسبني الثقة بالنفس، ودفعني إلى مواصلة البحث.

مـــــــــدخل :

حيـاة
الـشـاعر
وشعـره

حيـاة الشـاعر:

عرف الشعر الأندلسي الاتجاه الزهدي، وكانت بواعثه مختلفة بعض الاختلاف فقد شحذته فوضى الحياة، وزادت في حب الخلاص لدى الفرد من غوائل الحياة، وانتحاه الكثير من الأتقياء ومن بينهم الشاعر التقي أبو إسحاق الإلبيري .

هو إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي[1] من قبيلة تجيب العربية [2]. يكنى أبا إسحاق [3] من أهل غرناطة، يعرف بالإلبيري نسبة إلى مدينة إلبيرة [4] .

ويفترض أن شاعرنا ولد في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الهجري من أسرة عربية تنتمي إلى قبيلة تجيب المشهورة [5].

لزم منذ نشأته الفقهية المحدث ابن زمنين الصالح المتوفى عام 399 هـ وكان من أهل العلم والعمل معروف بالصلاح، وعنه أخذ أبو إسحاق الإلبيري مصنفاته في الفقه والحديث والوعظ، وأخبار الصالحين، وكان يعاصره الناسك المتعبد الطيطل علي بن إسماعيل الفهري القرشي الأشبوني[6]

وبعدما تهدمت إلبيرة عام(401 هـ – 1010 م)[7]، هاجر أبو إسحاق إلى غرناطة، وهناك اتخذه أبو الحسن علي بن محمد بن توبة كاتبا له وظل كذلك إلى أن أخذ يحمل بعنف

---

(1) الطاهر أحمد مكي- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة - دار المعارف – القاهرة –ط3 – 1987 م. ص 66

(2) محمد حسين قجة – محطات أندلسية –الدار السعودية جدة – السعودية – ط1 – 1985 م– ص 155 .

(3) ابن الآبار–التكملة " لكتاب الصلة "– المطبعة الشرقية – الجزائر – ع3 –1337 هـ –1919م –ص 169 .

(4) عبد الحكيم الوائلي – موسوعة شعراء الأندلس – دار أسامة – عمان – الأردن – 2000 م– ص21 .

(5) إميليو غارسيا غومس – مع شعراء الأندلس و المتنبي – تح – الطاهر أحمد مكي– دار الفكر العربي – القاهرة – مصر – ط3 – 2004 م– ص 87 .

(6) عيسى خليل محسن – أمراء الشعر الأندلسي – دار جرير – عمان – الأردن – ط1 – 1428 هـ – 2008 م– ص 196 .

(7) إميليو غارسيا غومس – مع شعراء الأندلس و المتنبي – ص 88 .

على إسماعيل بن النغريلة اليهودي وزير الأمير باديس بن حبوس أمير غرناطة لتسلطه على شؤون الحكم[8] .

-وقد عبر أبو إسحاق عما كان يختلج في نفوس الغرناطيين ضد إسماعيل بن النغريلة واليهود[3]، بقصيدة تحريضية على البطش باليهود بعد أن اشتد طغيانهم [4].

يقول فيها:[5]

أَلا قُلْ لِصَنْهَاجَةِ أَجْمَعِيْن ... بُدُورِ النَّدِيِّ وَأُسْدِ العَرِيْن

لقدْ زلَّ سَيِّدُكُم زلَّـةً ... تَقِرُبِها أَعْيُنُ الشَّامِتِيْنْ

تَخيَّر كاتبَهُ كَافِرًا ... ولو شاءَ كانَ مِنُ المُسْلِمِيْنْ

فعزَّ اليهودُ بِهِ وانْتَخَوْا ... وتاهُوا و كانُوا مِنَ الأَرْذَلِيْنْ

ونالُوا مُناهُمْ وجازُوا المَدى ... فحانَ الهَلاكُ وما يَشعُرونْ

فكمْ مُسْلِمٍ فاضلٍ قَانِتٍ ... لِأَرْذَلِ قِرْدٍ مِنَ المُشْرِكِينْ

وما كانَ ذلِكَ مِنْ سَعْيِهِمْ ... ولكنَّ مِنَّا يقومُ المُعِينْ

كان **أبو إسحاق الإلبيري** يعمل كاتبا للقاضي، ويقوم في الوقت نفسه بتدريس مؤلفات شيخه ابن أبي زمنين، ورواية شعره، ومن بين تلاميذه المباشرين : حفيد له، وهو ابن أخته: أبو العباس أحمد بن هشام القيسي، وآخران من إلبيرة وهما : أبو محمد عبد الواحد بن عيسى المتوفى عام (504 هـ – 1110 م) وأبو حفص عمر بن خلف الملقب بابن القبلان المتوفى عام (501 هـ – 1107 م) [1].

---

[8] عيسى خليل محسن-أمراء الشعر الأندلسي – ص 146 .

[3] مجلة" المخبر " – أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري – المكتبة الوطنية – الجزائر – ع 3 – 2006 م– ص 32

[4] لسان الدين بن الخطيب –الإحاطة في أخبار غرناطة – تح – محمد عبد الله عنان– مكتبة الخانجي–القاهرة – ط1 – 1394 هـ – 1974 م ص 155 .

[5] أبو إسحاق الإلبيري : الديوان تح –محمد رضوان الداية –مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط1 – 1396 هـ – 1976 م – ص 96 –97 .

[1] إميليو غارسيا غومس – مع شعراء الأندلس و المتنبي ص 88 – 89 .

كان شاعرنا مشهورا بالتقوى والصلاح، وكثير من شعره الزهدي قصائد مطولة تمتاز بحرارة العاطفة، وصدق الانفعال، وشدة التقوى والإقرار بالضعف الإنساني أمام مغريات الحياة، ومكافحة الشهوة العارمة [2] .

وكان يزهد حتى في بناء بيت والاعتناء به، يحاول تقييد هذه الفكرة فلا معنى عنده لبناء شيء على الأرض ثابت لمن لا قرار له على الأرض ولا ثبوت، بل إن مثواه القبر مهما طال عمره، ومهما بنى من قصور [3].

حيث قال رحمه الله :[4]

كُلُّ اِمْرِئٍ فِيمَا يُدِينُ يُدَانُ سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخُلْ مِنْهُ مَكَانْ

يَا عَامِرَ الدُّنْيَا لِيَسْكُنَهَا وَمَا هِي بِالتِي يَبْقَى بِهَا سُكَانْ

غير أن المتتبع لشعر الإلبيري يتضح له أنه كان يحتقر الشعر غير ديني و له في هذا المعنى :[5]

كان أيضا يباهي قريحته قائلا:[2]

فَأَنَا مُقْحَمٌ عَلَى أَنَّ خَيْلِي

لَا تُجَارَى فِيْ حَلَبَةِ الشُّعَرَاءِ

يعتبر أبو إسحاق من الورعين الخاشعين [3]، فكان يبكي نفسه، وينتزعها انتزاعا من عالمها الأرضي ليسمو بها إلى عالم أسمى شأنا وأعظم منزلة .

فيقول:[1]

---

(2) عادل جابر صالح / شفيق محمد الرقب – تاريخ الأدب العربي القديم – دار صفاء – عمان – الأردن – ط1 1431 هـ – 2010 م – ص 110 .

(3) مقداد رحيم – رثاء النفس في الشعر الأندلسي – دار جهينة – عمان – الأردن – ط1 – 1427 هـ– 2007 م ص 125 .

(4) المقري – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – دار صادر – بيروت – لبنان – م4 – 1388 هـ 1968 م . ص 317 .

(5) عبد الحكيم الوائلي – موسوعة شعراء الأندلس – ص 21 .

(2) المرجع نفسه .– ص 21 .

(3) عيسى خليل محسن – أمراء الشعر الأندلسي .–ص 146 .

فَيَا إِخْوَتِي مَهْمَا شَهِد تُمْ جَنازتِي فَقُوموا لِرَبِّي وَاسْأَلُوهُ نَجاتي

وَجِدُّوا ابْتِهالًا فِي الدُّعاءِ وأَخْلِصُوا لَعلَّ إِلهِي يَقْبَلُ الدَّعَواتِ

وَقُولوا جَمِيْلًا إِنْ عَلِمْتُمْ خِلاَفَهُ وَأَغْضُوا عَلى ما كَانَ مِن هَفَوَاتِي

وَلاَ تَصِفُونِي بِالّذِي أنا أَهْلُهُ فَأَشْقى، وَحَلُّونِي بِخَيرِ صِفاتِ

والحق أن الإلبيري كان فنانا في مجاله ، فكان يخرج على العرف الشعري المألوف في القافية ويصنع قصائده على نحو من " التسبيحة " فيبني القصيدة جميعها على قافية واحدة لا يغيرها، فقصيدة بناها على لفظ الجلالة.

يقول فيها:[2]

يَا أَيُّهَا المُغْتَرُّ بِاللهِ فَرَّ مَنَ اللهِ إِلَى اللهِ

ولُذْ بِهِ واسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ فقَد نَجا مِنْ لاذَ بِاللهِ

وَقُمْ لَهُ وَاللَّيلُ في جِنْحِهِ فَحَبَّذَا مَنْ قَامَ للهِ

وَاتْلُ مِنَ الوَحْيِ ولَو آيَةً تُكسى بِهَا نُورًا مِنَ اللهِ

---

[1] علي محمد سلامة – الأدب العربي في الأندلس – تطوره – موضوعاته ، و أشهر أعلامه – الدار العربية للموسوعات– بيروت . لبنان .ص 222 – 223 .

[2] إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف و المرابطين – دار الشروق – عمان – الأردن – ط1 – 1997 م – ص 111 .

و قصيدة أخرى بناها على لفظه " النار" .. قال فيها :[1]

وَيْلٌ لأَهْلِ النَّارِ في النَّارِ ماذَا يُقاسُونَ مِنَ النَّارِ

تَنْقَدُّ مِنْ غَيْظٍ فَتَغْلي بِهِمْ كَمِرْجَلٍ يَغْلَي عَلى النَّارِ

فَيَسْتَغِيثُونَ لِكَـي يُعْتَبُوا أَلَا لَعًا مِنْ عَثْرَةِ النَّارِ

وكُلُّهم مُعْتَرِفٌ نَادِمٌ لو تُقْبَلُ التَّوبَة فِي النَّارِ

حتى الصور الجنسية نراه يستغلها لتصوير مدى الصراع النفسي بين الواجب الديني و المرأة . حيث يقول :[2]

حَسْبِي كتابُ اللهِ فهوَ تَنَعُّمِي وتَأَنُّسي في وحْشَتِي بِدَفاتِرِي

أَفْتضُّ أَبْكارًا بهَا يَغْسِلنَ مَنْ يفتضُهُنَّ بِكلِّ معنًى طَاهِرِ

توفي أبو إسحاق الإلبيري قريبا من عام (459 هـ– 1067 م)، وأنه بلغ باعترافه حياة تجاوزت الستين بكثير .[3]

يقول الإلبيري: [4]

قَدْ بَلغْتُ السِّتِّينَ وَيْحَكَ فاعْلَمْ أَنَّ مَا بَعْدَها عَلَيْكَ تَلَوَّمْ

فَإذا ما اِنْقَضَتْ سِنُوكَ وَوَلَّتْ فَصَلَ الحَاكِمُ القَضاءَ فَأَبْرَمْ

ويقول أيضا :

أَ فِي السِّتِّينَ أَهْجَعُ فِي مَقِيْلي وحَادِي المَوتِ يُوقِظُ للرَّواحِ

وقَد نَشرَ الزَّمَانُ لِوَاءَ شَيْبِي لِيَطْوِيَنِي ويَسْلُبَني وشَاحِي

وقَد سَلَّ الحِمَامُ عليَّ نَصلاً سَيَقْتُلُنِي وإن شَاكَتْ سِلاَحِي

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري .– الديوان – ص 90 .

[2] إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف و المرابطين – ص 112 .

[3] إميليو غارسيا غومس– مع شعراء الأندلس و المتنبي – ص 87 .

[4] أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 50 .

أما محمد رضوان الداية فيذكر أنه عاش إلى سنة 460 هـ، كما يؤكد شوقي ضيف أنه كذلك توفي سنة 460 هـ[1].

آراء بعض المؤرخين حول الشاعر وشعره :

كان أبو إسحاق الإلبيري زاهدا يخشى ربه، ويحرص على التقوى والعمل الصالح، ويشتغل بقضية المصير والاستعداد ليوم الرحيل وكان أيضا من المشهورين بالأخلاق الحميدة، ومن المنصرفين عن ملذات الدنيا وشهواتها لذلك فإنه لفت أنظار العديد من العلماء نذكر من بينهم :

قال فيه الضبي في بغية الملتمس : " إبراهيم بن مسعود الإلبيري ، فقيه فاضل زاهد عارف كثير الشعر في ذم الدنيا مجيد في ذلك" [2].

كما ذكر ابن الآبار في كتاب – أمراء الشعر العربي – لعيسى خليل محسن قائلا : " كان من أهل العلم و العمل ، شاعرا مجودا و شعره مدون، وكله في الحكم والمواعظ والأزهاد" [3].

يقول ابن سعيد :" له ديوان ملآن من أشعار زهدية، ولأهل الأندلس غرام بحفظها ".[1]

ويقول أيضا في كتابه – المغرب في حلي المغرب –" ... شاع عمله، وارتسم بالصلاح " [2].

– أما البلوي فيقول : " كان الأستاذ الفقيه – أبو عبد الله بن سورة شيخي رحمه الله يحمل طلبته على حفظه (يعني شعر الإلبيري) لجودته " [3].

---

(1) جودي عبد الحميد – الزهد في شعر أبي إسحاق الإلبيري – إشراف الدكتور فورار أمحمد بن لخضر – جامعة محمد خيضر– بسكرة – قسم الأدب العربي – رسالة ماجستير – ص 8

(2) الضبي –بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس – تح – إبراهيم الأبياري– دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان – ج1– ص 174 .

(3) عيسى خليل محسن – أمراء الشعر العربي – ص 146 .

(1) عيسى خليل محسن – أمراء الشعر العربي – ص 146 .

(2) ابن سعيد – المغرب في حلي المغرب – تح شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – مصر – ط4 – ص 132 .

(3) عبد الحكيم الوائلي – موسوعة شعراء الأندلس – ص 22 .

أما انخل بالنثيا في كتابه – تاريخ الفكر الأندلسي – فقد ذكر أن مقتطفات كثيرة من شعره ترجمها دوزي إلى الفرنسية .[4] الأمر الذي يثبت مدى شهرة الشاعر و شغف الناس بقراءة شعره .

دوافع زهد الإلبيري :

إن علو سن الشاعر من أبرز الدوافع إلى زهده، إذ أنه خبر الحياة وتقلبات الدهر وغدره، فكان تجاوزه للستين نذيرا بدنو الأجل وقرب الموعد المحتوم.

يقول : [5]

وَلَقَدْ رَأيتُ منَ الزَّمانِ عَجَائِبَ جَرَّبتُهَا بِمَوارِدِي وَمصَادِرِي .

والدافع الثاني لزهد هو الإحساس بالوحشة والوحدة في الدنيا وهو في هذه السن وخاصة بعد اختطاف الموت أترابه واحدا بعد واحد .[1]

يقول :[2]

تَمُرُ لِدَاتِي واحدًا بَعْدَ واحدِ وَأعلمُ أنِي بَعْدَهُم غَيْرُ خَالدِ

وَأَحملُ مَوتَاهُمْ وأشَهدُ دَفْنـهُمْ كأنِّي بعيدٌ مِنْهُمْ غيْر شَاهدِ

فَهَا أنَا فِي عِلمي بهمْ وجَهالتِي كَمُستيقِظِ يَرنُو بِمُقلةِ راقدِ

ولعل ما زاد من وحشته وفاة زوجته ، فسجل أحاسيسه ومشاعره في قصيد رثائية يصفها – محمد عويس– بأنها من خيرة ما نظم [3] .

---

(4) أنخل بالنثيا – تاريخ الفكر الأندلسي – تح حسين مؤنس – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – مصر – ص 108.

(5) محمد عويس – من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – مصر – ط1 – 1986 م– ص 35 .

(1) محمد عويس – من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي – ص 41 .

(2) أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 105 .

(3) محمد عويس – من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي – ص 42 .

يقول : [4]

قَطعَ الزَّمَانَ معِي بأكْرِمِ عِشرةٍ لَهْفِي عَلَيهِ منْ أبَرِّ مُعَاشرِ

ما كانَ إلَّا نَدْرَةً لا أرْتَجِي عِوضًا بهَا فَرَثَيتُهُ بِنَوادرِ

ولوْ أنَّنَي أنْصَفتهُ فِي وُدِّهِ لقَضيتُ يَومَ قَضىَ و لمْ أسْتاخرِ

لم يكن دافعه إلى الزهد روحيا و نفسيا فقط بل كان عقليا كذلك، فقد أدى به تأمله في الحياة الدنيا وخلق الله إلى الزهد في ملذاتها الزائلة، وهذا سبيل العاقل الذي تهون في نظره الدنيا [5] .

يقول : [1]

مَا أمْيلْ النَّفسَ إلىَ البَاطِلِ وَأهونَ الدُّنيَا علَى العَاقِلِ

تُرضِي الفتَى فِي عَاجِل شَهوةٍ لوْ خَسِرَ الجنَّةَ فِي الآجِلِ

يَبِيعُ مَا يَبقَى بمَا ينَْقضِي فِعْلَ السَّفيهِ الأحْمقِ الجاهِلِ

شعره :

الإلبيري نسخة وحيدة من ديوان شعره محفوظة بمكتبة الإسكوريال في إسبانيا فائقة من حيث الضبط والخط هي مكتوبة بخط حكم بن يوسف بن علي بن حكم البلسني بثغر منورقة .[2]

يقول إميليو غارسيا غومس أن هذه المخطوطة الموجودة في مكتبة الإسكوريال والتي رقمها (404) هي ممتازة إلا أنها تحتوي على بعض الأخطاء الشاردة وقد وقعت سهوا، ويمكن إدراكها وباستثناء الشكل أيضا، لان المخطوطة كلها مضبوطة بالشكل .[3]

وديوان الإلبيري يحوي اثنتين و ثلاثين بين مقطوعة وقصيدة وقد وجدت له مقطوعات أخرى لم يحوها ديوانه مما يدل على أنه لا يمثل جميع ما خلفه الإلبيري من نتاج شعري .[4]

أما قصائد الديوان فلم ترتب على اعتبار معين (زمني أو هجائي أو موضوعي).

---

(4) أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 77 – 78 .

(5) محمد عويس – من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي – ص 42 .

(1) أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 59 .

(2) أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 10 .

(3) إميليو غارسيا غومس – مع شعراء الأندلس و المتنبي – ص 109 .

(4) إحسان عباس– تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطرائف و المرابطين – ص 110 .

وسبق أن طبع ديوان الإلبيري في مجلة الأندلس (مدريد، إسبانيا) بعناية المستشرق الإسباني غارثيا غومس، وهي طبعة قربت الديوان إلى قراءة المجلة وإن لم تتضمن له الذيوع و الانتشار .

وردت هناك بعض الأخطاء و التغييرات في طبعة مدريد نذكر منها[2] :

[4] أبو إسحاق الإلبيري – الديوان – ص 12.

في المخطوط الأصلي	في مجلة الأندلس
[اسم الكتاب والمؤلف على غلاف الديوان]	[اسم الكتاب و المؤلف على غلاف الديوان]
شعر الفقيه الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري رضي الله عنه ورحمه	ديوان الفقيه الزاهد أبي إسحاق إبراهيم مسعود التجيبي الإلبيري.
في بداية الديوان البسملة والصلاة على النبي ρ	[حذفت البسملة و الصلاة على النبي ρ
في القصيدة الأولى : – البيت 12 و كنزا	– وكنزا
– البيت 38 :مسومات	– موسمات.
– البيت: 76 لجهلك	– يحملك
– البيت 77: للمصر	– للمضر (بالضاد المعجمية)
– البيت 100 : إذا لمستا	– إذا التمستا
– البيت 110 : وطولت	– وحولت
القصيدة الثانية : – البيت 2 : فيه طي	– فيه طي
القصيدة الرابعة :– البيت 11 : غدرها	– غررها
– البيت 24 : ردوا	– ردءوا
– البيت 32 : مليكه	– مليك
القصيدة الخامسة : – البيت 15 : أيدي سبا	– أيدي صبا
– البيت 25 : كجبال	– كجمال
القصيدة السادسة : – البيت 4 : فأبصق	– وأبصق
القصيدة الثامنة : – البيت 3 : و أفرح	– وأفرج (بالجيم المعجمية)
– البيت 5 :كابي	– كابي (مهموزة)

الفصل الأول:

ماهية الزهد وحضوره في الشعر العربي

1- الزهد لغة.
2- الزهد اصطلاحا.
3- دوافعه.
4- الزهد في الشعر العربي.

- ماهية الزهد:

أ- الزهد لغة :

* الزهد في اللغة هو ترك الميل إلى الشيء [1] .

والزهد أيضا يعني ترك الشيء والإعراض عنه، وفي لسان العرب نجد الزهد والزهادة في الدنيا ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة.

والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا .

والتزهيد في الشيء وعن الشيء، خلاف الترغيب فيه، وزهده في الأمر رغبة عنه، وفي حديث الزهري، سئل عن الزهد في الدنيا فقال : هو أن لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره، وفلان يتزهد أي يتعبد .

قال أبو سعيد : الزَهَدُ : الزكاة، بفتح الهاء، حكاه عن مبتكر البدوي.

وقال أيضا : وأصله القلة لأن الزكاة المال أقل شيء فيه .

أما الأزهري : رجل زهيد العين، إذا كان يقنعه القليل، ورغيب العين إذا كان لا يقنعه إلا الكثير .

قال عدي ابن زيد[2] :

وَلِلْبَخَلَةِ الأُولَى، لِمَنْ كَانَ بَاخِلاً

أَعَفَ وَمِنْ يَبْخَلْ يُلَمْ وَ يُزَهَدَ

و يقال أيضا : الزهد هو عدم الرغبة ، فيقال الزهد في الشيء ، إذا لم يرغب فيه [3].

قال النبي صلى الله عليه وسلم " إِذَا رَأَيْتُمْ الرَجُلَ قَدْ أُوتَى زُهْدًا فِي الدُنْيَا وَمَنْطِقًا فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ يُلَقَنُ الحِكْمَةَ" [1].

---

[1] علي الجرجاني – التعريفات – تح نصر الدين التونسي – القاهرة – ط1– 2007 م– ص 192 .

[2] ابن منظور – لسان العرب م3 دار صادر . بيروت – لبنان – ط1 . 1997 م– ص 207 .

[3] سراج الدين محمد – الزهد في الشعر العربي – دار الراتب الجامعية . بيروت – لبنان – ص 5 .

[1] القشيري – الرسالة القشيرية – وضع حواشيه خليل المنصور – دار الكتب العالمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1998 م– ص 60 .

[2] ياسين الأيوبي – آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي – دار جرس برس – طرابلس– لبنان – ط1 – 1415 هـ 1995 م ص 351 .

[3] سراج الدين محمد – الزهد في الشعر العربي – ص 5 .

ونقل عن بعض الأئمة قولهم في الزهد : أخذ أقل الكفاية مما تيقن حله و ترك الزائد على ذلك لله تعالى .

وزهد في الشيء، وعنه تركه وأعرض عنه لاحتقاره، أو لقتله .

والزاهد هو الإنسان الذي يرى في الدنيا ومباهجها عرضا زائلا لا قيمة له ، فيفضل عليها الآخرة التي تحقق له الغنى الدائم و السعادة السرمدية [2].

ب- الزهد اصطلاحا :

تعددت المفاهيم حول ظاهرة الزهد، ولكن معظمها يصب في معنى واحد هو احتقار الدنيا والعزوف عنها .

– فالزهد هو حنين الروح إلى مصدرها الأول ولمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا و متاعها، والرغبة عن نعيمها، وتفضيل نعيم الآخرة عليها [3].

والزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما فات منها، ولا تفرح بما آتاك منها .

قال "**سفيان الثوري**" : الزهد في الدنيا قصر الأمل ، أي الخروج من الدنيا ومن قصر أمله، فقد كره البقاء فيها [4].

أما "**ابن قيم الجوزية**" في كتابه – فوائد الفوائد – فيعرف الزهد في الدنيا بأنه الإقبال على الله وذلك بالاستعانة بالله، فإذا فرح الناس بالدنيا فا فرح أنت بالله، وإذا أنسوا لأحبائهم فاجعل أنسك بالله، و إذا تعرفوا إلى ملوكهم تقربوا إليهم لينالوا بهم العز والرفعة [1] .

كما أن الزهد يجسد التوازن بين الإقبال و الإحجام على متع الدنيا ولذاتها و النفور منها حتى لا توقع الملاحق إياها في الضياع [2].

---

(4) الحنبلي البغدادي – جامع العلوم و الحكم – دار ابن حزم – بيروت – لبنان – ط2 – 1424 هـ – 2002 م– ص 364 .

(1) ابن قيم الجوزية – فوائد الفوائد– دار ابن الجوزية – المملكة العربية السعودية – ط2 – 1418 هـ–1997 م

– ص 388 .

الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالعدول إلى شيء هو أحب منه والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفردوس و لا يحب إلا الله تعالى [3].

كما تردد في القرآن الكريم دائما الدعوة إلى الزهد في الحياة الدنيا و متاعها الزائل، وهي دعوة تحمل في تضاعيفها الحث على التقوى والعمل الصالح، فالمسلم الحق من عاش للآخرة، ورفض عرض الدنيا [4].

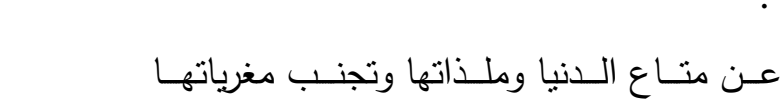

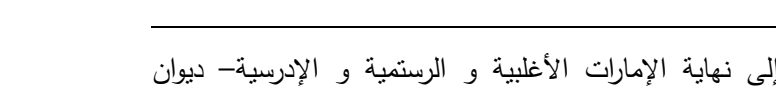

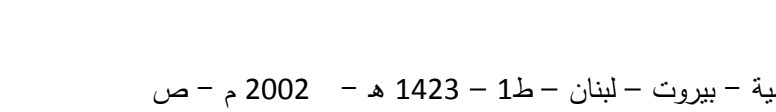

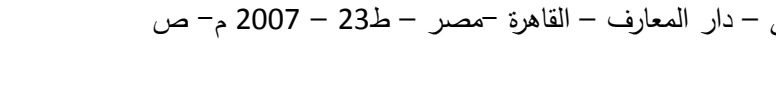

فالزهد في حقيقته دعوة إلى العزوف عن متاع الدنيا وملذاتها وتجنب مغرياتها والتمسك بالعمل الصالح والسلوك القويم .

فالزهد إذن علم عملي وفن لعبادة الله ، ومنهج في الحياة [2].

---

[2] العربي دحو – الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية و الرستمية و الإدرسية– ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1994 م– ص 61 .

[3] محمد الغزالي – إحياء علوم الدين –م4 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1423 هـ – 2002 م – ص 289 .

[4] شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي – دار المعارف – القاهرة –مصر – ط23 – 2007 م– ص 369 .

[5] سورة البقرة – الآية 94 .

[1] سورة الحديد – الآية 20 .

قال تعالى :( ) [3] .

كما يرى الإمام ابن القيم الجوزية أن الزهد في الدنيا لا يستقيم إلا بعد نظريين صحيحين [4].

1-النظر في الدنيا وسرعة زوالها واضمحالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة والحرص عليها .

2- النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها، ودوامها و بقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، فهي كما قال سبحانه:( ) [1] .

الزهد ليس بترك الحلال ولا بإضاعة المال ولكن بأن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك والأمر الوسط دائما هو المطلوب .

فأناس فهموا أن الزهد هو رفض الدنيا إطلاقا وترك كسب الحلال واللجوء إلى الاتكال إلى ما في أيدي الناس، وهذا شيء مذموم وقبيح وليس من الزهد بشيء فهو كما قال "**الترميذي**" : ليس بتحريم الحلال، ولا في إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله .

كما أن الزهد يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث :[2]

الدرجة الأولى : وهي السفلى، منها أن يزهد في الدنيا وقلبه إليها مائل ولكنه يجاهدها ويكفها، وهذا يسمى المتزهد، وهو مبدأ الزهد، والمتزهد هنا على خطر، فإنه ربما تغلبه نفسه فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها .

---

(2) محمد مجيد السعيد – الشعر في عهد المرابطين و الموحدين – دار الراية – عمان – الأردن –ط3 – 1428 هـ – 2008 م– ص 293 .

(3) سورة الأنعام – الآية 32 .

(4) المدخلي – الوصايا و الزهديات و الرقائق – دار الميراث النبوي – الدار البيضاء – الجزائر – ط1 – 1433 هـ – 2012 م – ص 154 .

(1) سورة الأعلى – الآية 17 .

(2) محمد الغزالي – إحياء علوم الدين –ص 301 .

الدرجة الثانية : الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره إياها، بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهما من أجل درهمين ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت إليه، ويظن في نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان .

الدرجة الثالثة : وهي العليا أن الزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئا، إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفه وأخذ جوهره، فلا يرى ذلك معاوضة، ولا يرى نفسه تاركا شيئا، فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة.

والحاصل أن الزهد عبارة في الرغبة عن حظوظ النفس كلها، ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة.

دوافع الزهد :

أصبح الزهد غرضا من أغراض الشعر العربي في كل عصر، وفي كل بلد وتلقينا منه سيول كثيرة، وفي كل عصر نجد دوافع مختلفة لكنها تصب في دافع مهم وهو ذم الدنيا والتحبيب في الآخرة .

وأروع ما قيل في الزهد قول الفيلسوف أبي بكر بن طفيل :[1]

يَا بَاكيًا فِرقَةً الأَحْبابِ عنْ شَحْطٍ هلاَ بَكَيْتَ فِراقَ الرُوحِ للْبَدَنَ
نُورٌ تَرَددَ فِي َطيْنِ إلَى أَجَل فَانْحَازَ عُلوَا وخَلَى الطِينُ للْكفَنِ
يا شَدَّ مَا افْتَرقَا منْ بعْدِ مَا إعْتَلَقَا أَظُنهَا هُدنَةً كَانتْ علَى دُخَنِ
إنْ لَمْ يَكُنْ فِي رِضَا اللهِ فيَا لهَا صَفْقَةُ تَمُتْ علَى غَبَنِ
اجْتِمَاعُهُ َا

والملاحظ أن حركة الزهد نشطت نشاطا ملحوظا في العصر الأندلسي وكانت هذه الموجة من الزهد رد فعل على موجة المجون التي انغمس فيها الكثير من الأندلسيين، كما كان للمحن السياسية وكثرة الحروب والفتن وانحصار الإسلام اثر في تقوية نزعة الزهد [2].

---

[1] عيسى خليل محسن – أمراء الشعر الأندلسي – ص 134 .

وتختلف دوافع الزهد وتتنوع بحسب الأشخاص ومواقعهم من الحياة والناس فيذكرنا أبو الحسن بن هارون المالقي بانتقال الدنيا وعدم ثباتها وبأن الآمال عريضة واسعة.

فيقول :[1]

أَرَاكَ يَغُرُكَ الأَمَـلُ وَيقْطَـعُ دُونَـهُ الأَجَلُ
وَمَالَكَ فِـي تَنَقُّلِـهِ كَمَثَلِ الفَـيْءِ يَنْتَقِلُ
فَدَيْتُكَ كَيْفَ لاَ تَبْكِـي وَأَنْتَ غَدًا سَتَرْحَلُ
وَكَمْ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ علَى الدُنْيَا قَدْ اقْتَتَلُوا

هذه الأبيات عبارة عن تذكير ووعظ بأن الدنيا زائلة لا محالة كما نجد أن تناقض الحياة وتقلبها وتغيرها و غدرها دافع أساسي إلى الزهد.

فنجد البلسني يقول :[2]

أُشْكُرْ لِرَبَكَ وَانْتَظِرْ فِي أَثَرِ عُسْرِ الأَمْرِ يُسْرَا
وَاصْبِرْ لِرَبِكَ وادَخِرْ فِي سِتْر ضُرِ الفَقِرُ أَجْرًا
فَالدَّهرُ يَعثُرُ بِالورَى والصَبرُ بالأَحْرَارِ أَحْرَى

ويرى الشاعر أن الصبر والقناعة من صفات المؤمن لذلك علينا أن نتمسك بهما خاصة مع تقلبات الحياة .

ومن دوافع الزهد أيضا الشيخوخة وما يصاحبها من أحاسيس محزنة بقرب الرحيل ودنو الأجل، وابن خفاجة واحد من أولئك التائبين .

فيقول في إحدى قصائده :[1]

---

(2) فوزي عيسى – الأدب الأندلسي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – القاهرة – 2011 م– ص 155 – 156 .
(1) محمد مجيد السعيد – الشعر في عهد المرابطين و الموحدين – ص 296 .
(2) المرجع نفسه – ص 299 – 300 .

النَاسُ منْ كَابٍ هُنَاكَ و سَابِق قدْ أَلْزَمُوا أعْمَالَهُمْ أَطْوَاقًا
فَحَنَانُكَ اللَّهُمَ فِي عبْدٍ غَوَى زَمَنًا فَشُدَ إلَى الفُسْقِ نِطَاقًا
سُحُبُ الشَبِيبَةِ فِي الغِوَايةِ ضَلَة حتَى تَسَرْبَلَ ثَوبُهَا أخُلاَقًا

أما علي محمد سلامة في كتابه – الأدب العربي في الأندلس – فيرى أن هناك ثلاثة عوامل أساسية لانتشار الزهد هي :[2]

1- الاضطراب السياسي والصراع القبلي، ففي هذا الجو المضطرب لا بد من وجود مصابيح روحانية تضيء هذه الجوانب المظلمة .
2- الثقافة الدينية .
3- ارتفاع موجة الزندقة واللهو .

كما أننا نجد دافع آخر هو كثرة الفواجع والنكبات من جراء الحروب والثورات وتقلب الأحوال، مما دفع فريقا من الأندلسيين إلى العزلة وإيثار الدين والتزهد في الحياة والالتجاء إلى الله [3].

وكانت هناك دوافع شخصية منها الورع والتقوى [4]، ومن الزهاد الأتقياء أبو إسحاق الإلبيري الذي اشتهر بأشعاره الزهدية التي تشغل مساحة واسعة في ديوانه، والتي أثرت فيمن جاء بعده من شعراء الزهد الأندلسيين [5]، من بينهم ابن حزم القرطبي

خاصة في كتابه (طوق الحمامة) كما جعل ابن الآبار محمد بن العسال الطيطلي (ت487 هـ) ندا لأبي إسحاق فيقول : " وسلك مسلكه أبو محمد بن العسال الطيطلي وكانا فرسى رهان في ذلك الزمان صلاحا وعبادة " [1].

---

(1) محمد مجيد السعيد – الشعر في عهد المرابطين و الموحدين – ص 304 .
(2) علي محمد سلامة – الأدب العربي في الأندلس – ص 221 – 222 .
(3) فورار أمحمد بن لخضر – الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية – دار الهدى – عين مليلة – الجزائر – 2008 م– ص 99 .
(4) عادل جابر صالح – شفيق محمد الرقب – تاريخ الأدب العربي القديم – ص 109
(5) فوزي عيسى – الشعر الأندلسي في عصر الموحدين – دار الوفاء الإسكندرية – ط1 – 2007 م– ص 201 .

الزهد في الشعر العربي :

1- الحياة الروحية قبل الإسلام :

شاعت عند العرب قبل الإسلام عدة عبادات منها الوثنية أي عبادة الأوثان وعبادة الكواكب، وهناك الدهريون أي الذين لا يعترفون بحياة أخرى بعد الموت، كما كانت الحنفية واليهودية والمسيحية منتشرة في شبه الجزيرة العربية .

ومرت الحياة الروحية العربية بعدة مراحل و تعرضت لعدة مؤثرات وبعد أن كانت تدينا وورعا تطورت إلى زهد [2].

ففي العصر الجاهلي كان شعر التدين يظهر في صورة أبيات مفردة تأتي عرضا في قصيدة تعالج موضوعا عاما، لكن شعر التدين هذا كان عبارة عن حكم متفرقة نتيجة للتأمل وللتجربة فجاءت صادقة تتعلق بالموت وما بعده [3]، فالموت اجتاح الإنسانوما يزال يجتاحه ويلازمه ويتعمق إحساسه به مع جريان الزمن، ولا شك أن هذه المعضلة العامة قد أقلقت الشعراء وشغلت أذهانهم، كما أن أثارها بدت على سلوكهم ومجمل مواقفهم.

يقول أمية بن أبي الصلت [1] :

فَكُن خَائفًا لِلمَوتِ والبَعَثِ بَعْدَهُ وَلاَتَكُ فِيمَنْ غَرَهُ اليَوْمُ أوْغَدُ

فَإِنَكَ فِي دُنْيَا غَرُور لأَهلِهَا وَفيهَا عدُوٌ كَاشِحُ الصُدُرِ يُوقَدُ

يبدو لنا الشاعر من خلال هذه الأبيات أنه ينظر نظرة متشائمة للحياة فهو يعتبرها غدارة و ما الإنسان فيها إلا مخدوع .

كما كان العرب في جاهليتهم يطلقون العنان لشهواتهم وغرائزهم ومتعهم الحسية[2]، وانصراف الإنسان إلى ملذات الحياة وانسياقه وراء التوافه ألهاه عن الحقائق الرهيبة للموت .

---

(1) إميليو غارسيه – مع شعراء الأندلس و المتنبي – ص 92 .

(2) سراج الدين محمد – الزهد في الشعر العربي – ص 5 .

(3) المرجع نفسه– ص 6

(1) جليل حسن محمد – الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام – دار دجلة – المملكة الأردنية الهاشمية – ط2 – 2009 م– ص 112.

(2) عبد العزيز عتيق – الأدب العربي في الأندلس – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – ط1 – ص 216 .

يقول امرؤ القيس :[3]

أَرَانَا مُوضَعِينَ لأمْرِ عيْبٍ ونُسَحَرُ بِالطَعَام والشَرَاب
عَصَافيرَ و ذُبَانَ ودُودٍ وأجرَأُ منْ مُجَلَّحَةِ الذِئَابِ
فَبعْضُ اللَّومِ عاذِلتِي فإنِي سَتَكفِينِي التَجَارُبُ وانتِسَابِي
إلىَ عرْقِ الثَرَى وشَجَتْ عُرُوقِي وهذَا المَوتُ يَسْلُبنُي شَبَابِي
ونَفسِي سَوفَ يَسلُبهَا وَجِرمِي فَيُلحُقنِي وَشيكًا بِالتُّرابِ

يرى الشاعر هنا انه مهما طال الزمان ومهما التهى الإنسان في ملذات الحياة فإن الموت قادم لا محال .

ومن الشعراء المتعبدين قبل الإسلام عدي بن زيد الذي كان مشهورا بالوعظ والتذكير.

قال :[1]

أيَهَا الشَامِتُ المُعَيرُ بِالدَهْرِ أنتَ المُبَرَأ ُالمَوفُورُه
أمْ لدَيكَ العَهدُ الوَثيقُ منَ الأيَامِ بلْ أنتَ جَاهلُ مغْرُورٌ
مَنْ رَأيتَ المُنُونَ خَلَدْنَ أمْ مَنْ ذَا عَلَيهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرٌ
أيْنَ كِسْرَى كِسْرَى المُلُوكِ أَنُوشِرْوَانَ أمْ أَينَ قَبلهُ سَابُورُ
وبنُو الأصْفَرِ الكرَامِ مُلوكُ الرُومِ لَمْ يَبقَى مِنْهُمْ مَذْكُورُ

وإذا تأملنا الأدب الجاهلي وبخاصة الشعر نرى ظلال هذه النزعة قد ظهرت في أقوال الشعراء متمثلة في حكمهم التي تجيء متناثرة في أقوالهم وأشعارهم، وهذه الحكم كانت تأتي بسيطة بنظرة جزئية .

ومن بين الشعراء الذين تكلموا عن الموت والحياة وكانت أشعارهم دليلا على ذلك نذكر:

أمية بن الصلت من الشعراء المحنفين وأغزرهم مادة وأكثرهم تنوعا في موضوعات الشعر[2] .

فنجده يقول :[3]

---

(3) امرؤ القيس – الديوان – تح – حنا الفاخوري – دار الجبل – بيروت – لبنان – ص 387 – 388 .
(1) سراج الدين محمد – الزهد في الشعر العربي – ص 9 .
(2) الأصفهاني – الأغاني – دار الكتب – 1927 – 1950 م – ص 180 .

هُمَا طَرِيقَانِ فَائِزُ دَخَلَ الجَنَّـ ـةَ حَفَّتْ بِهِ حَدَائقُهَا
وَفرْقَةُ فِي الجَحِيمِ مَعَ فِرقِ الشَّيْـ ـطَانِ يَشْفُنَ بِهَا مَرَافِقُهَا
مَا رَغبَةُ النَّفسِ فِي البَقَاءَ وأنْ تَحيَا قَليلاً وَ المَوتُ لاَحِقُهَا

من هذه الأبيات يتضح لنا أن الشاعر كان مؤمنا بالبعث واليوم الآخر وما فيه من جنة ونعيم

أما عبيد بن الأبرص (توفي سنة 17 هـ / 605 م) [1] ، فإننا نجد آثارا دينية في معلقته التي يقول فيها :[2]

وكُلُ ذِي عَيبَةٍ يؤُوبُ وغَائِبُ المَوْتِ لاَ يَؤُوبُ
منْ يَسْأَلُ النَاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللهِ لاَ يَخِيبُ

نجد أن الشاعر ذكر الموت وأنه يأتي لكل الناس وبالطبع لن يرجعوا بعده وأن العاطي الواهب هو الله الرب الكريم، و إليه يتوجه كل الناس بالدعاء .

كان لبيد بن ربيعة (توفي سنة 40 هـ – 660 م) من الأجواد المشهورين كان له جفنتان يغدو بهما و يروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم [3].

قال لبيد :[4]

أرَى النَاسَ لاَ يدرُونَ مَا قدْ أمْرِهِمْ بلْ كُلُ ذي رَأي إلَى اللهِ زَائلُ
ألاَ كلُ شَيءِ مَا خلاَ اللهَ بَاطِلَ وكُلُ نَعيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ

و يقول :

---

(3) سراج الدين محمد – الزهد في الشعر العربي – ص 10 .

(1) الشنقيطي – شرح المعلقات العشر – دار الغد الجديد – القاهرة – المنصورة – ط1 1428 هـ – 2007 م– ص 217 .

(2) عبد الرحمان عبد الحميد علي – المعلقات من منظور النقد الحديث – دار الكتاب الحديث – القاهرة – 1431هـ – 2010 م– ص 84 .

(3) الشنقيطي – شرح المعلقات العشر – ص 83 .

(4) سراج الدين محمد – الزهد في الشعر العربي – ص 12 .

إنَّمَا يَحفَظُ التُقَى الأَبْرارُ وَإلَى اللهِ يَستَقِرُ القَرَارُ
وَإلَىَ اللهِ يُرْجَعُونَ و عندَ اللَّـ ـهِ و زَدُ الأُمورِ وَ الأَسْرَارِ

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات أن لبيد هو الشاعر الجاهلي الذي يمكننا أن نتخذه مظهرا من مظاهر النشاط الديني، فقد ظهر في شعره ما يدل على ذلك ففي معلقته آثار دينية سادت في شبه الجزيرة العربية، و تدين بها قبل ظهور الإسلام :[1]

إنَّ المَنايَا لاَ تَطِيشُ سِهَامُهَا

و يقول :

ومُقَسِمُ يُعْطَى العَشِيرَةَ حَقَهَا

كما قال :

قَسَمَ الخَلائِقِ بيننَا علاَمُهَا
وإذَا الأمَانةُ قُسِمَتْ فِي مَعشَر

هذه الآثار الدينية التي تركها الشاعر (لبيد) في معلقته تشير إلى القيم والأسس التي قامت عليها اليهودية والمسيحية في هذا الوقت البعيد كالإيمان بالله وبالموت وأنه لا يخطئ الإنسان مهما عمر في الحياة .

إذا كان التاريخ قد حفظ لنا شيئا من سلوك عباد بن إسرائيل، و من رهبان النصرانية فإن الشواهد تثبت لنا أن الرغبة في الزهد والانقطاع للعبادة والتأمل ظهرت في جميع الأديان السماوية وغير سماوية .

ونجد هذا الاتجاه كثيرا ما يرتبط بالشعور الديني والإحساس بالضيق، وعدم الرضا عن بعض الأوضاع القائمة في المجتمع الذي يعيش وسطه

ونخلص في هذا إلى القول بأن الحياة الروحية في العصر الجاهلي كانت تعبيرا عن نظرات متأملة في الحياة والموت.

2- الزهد في صدر الإسلام :

[1] عبد الرحمان عبد الحميد علي – المعلقات من منظور النقد الحديث – ص 78 .

أصبح القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الأعظم وشغلها الشاغل فأقبلوا على حفظه ودراسته، لأنه يتفق مع حياتهم الجديدة، حياة الروح والمثل العليا، ولم يكتف الإسلام بإيقاف المسلم على الحياتين : المادية و الروحية بل عمل منذ نشأته الأولى على تفضيل الحياة الثانية على الأولى، وذلك من خلال قول تعالى:(﴿) [1].

وهذا ما جعل بعض الباحثين يؤكد أن الزهد من طبيعة الإسلام اعتمادا على الآيات والأحاديث النبوية الشريفة ، فنجد آيات أخرى : مثل قوله تعالى :(﴿) [2] .

ويقول أيضا :(﴿) [3] .

وقوله أيضا : (﴿) [4] .

و من بين الأحاديث النبوية الشريفة الداعية إلى الزهد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدُّنيَا سِجنُ المُؤمِنِ و جَنَةُ الكَافِرِ " [5] .

و قوله أيضا : " كُنْ فِي الدُّنيَا كَأنَكَ غَريبُ أو عَابِر سَبيلِ " [6]

إذن فالنعيم الحقيقي هو نعيم الجنة ، و ما الدنيا إلا نعيم زائل مهما طال الزمان.

---

[1] سورة الأعلى – الآية 15 .

[2] سورة المنافقين – الآية 9 .

[3] سورة التغابن – الآية 15 .

[4] سورة الكهف – الآية 46 .

[5] الريمي–التحذير من الدنيا – دار الإمام مالك – باب الوادي – الجزائر –ط1– 1432 هـ– 2011 م– ص92.

[6] البخاري – صحيح البخاري – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ص 170 .

وإن الزهد في الإسلام لا يعني الانقطاع تماما عن الدنيا كزهد الرهبانية، بل هو زهد معتدل زهد فيه قوة و دعوة إلى العمل و الكسب .

يقول الله جل و عزّ : (و اِبتَغِ فِيْمَا أَتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرةَ – وَ لاَ تَنَسىَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنيْاَ) .

وزاهد الأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، يروى أن رجلا جاءه فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله و أحبني الناس ، فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله و ازهد فيما عند الناس يحبك الناس "[1] .

من خلال هذه الرواية يتضح لنا أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان يدعو إلى الزهد في الدنيا وتجنب ملذاتها و شهواتها .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم " [2] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : " لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان* حتى مات و لم يأكل خبزا مرققا حتى مات " [3].

و قد اندفع وراء رسول الله كثير من الصحابة يحيون حياة زاهدة ، وعلى رأسهم أهل الصفة ، و هم نفر من الفقراء المسلمين اتخذوا صفة المسجد منزلا لهم و عاشوا على صدقات الرسول، وعلى رأسهم أبو بكر، وعلي، وعمر، وعبد الله ابن عمر أبو الدرداء ... [4] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه : أنتم أكثر صوما وصلاة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، و هم كانوا خير منكم قالوا : وبما ذاك ؟ قال : كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة [1] .

---

[1] شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي – ص 370.

[2] البخاري – صحيح البخاري – مكتبة الصفا – القاهرة – ط1 – 1423 هـ– 2003 م – ص 9 .

[3] المرجع نفسه – ص 236 .

* – الخوان : هو ما يوضع عليه الطعام .

[4] شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي – ص 370 .

ويتضح لنا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعملون في دنياهم من اجل الدار الآخرة لأنها النعيم الحقيقي .

وجاء عصر الفتوح وجاءت معه الغنائم الوفيرة، ولكن العرب لم ينسوا تعاليم الإسلام، وسرعان ما تكونت في كل بلد جماعة قراء أتقياء .

وبالفعل استطاع الإسلام في تلك الفترة إلى حد بعيد أن يحقق المثل العليا، والقرآن والحديث بأسلوبهما العالي وأدبهما الرفيع هما اللذان يمثلان أدب الزهد في تلك الفترة أصدق تمثيل .

وهذا كله صرف كثيرا من الصحابة إلى الزهد في حطام الدنيا، وأرادوا أن يعيشوا عيشة كلها تقوى، وعبادة، ورفض لزخرف الدنيا، وابتهال إلى الله، وتوكل عليه وانتظار لما عنده، ومن بين الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص، إذ يجمع الرواة على أنه كان شديد المجاهدة لنفسه، فكان يقضي الليل مصليا، والنهار صائما [2].

ومن الصحابة الذين اشتهروا بالعبادة والزهد، حذيفة بن اليمان وأبو الدرداء الذي يروى عنه في الزهد عبارات مأثورة من مثل قوله :[3]

أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث، أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ولا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه، ولا يدري ساخط ربه أم راض، وأبكاني هول المطلع وانقطاع العمل، وموقفي بين يدي الله لا يدرى أيأمر بي إلى الجنة أم إلى النار .

من هذه المقولة يتضح لنا أن الإنسان والمؤمن على وجه أخص لا يعرف مصيره الحقيقي، لذلك عليه بالعمل الصالح و الزهد في الدنيا، والخوف من ملاقاة ربه .

3- الزهد في العصر الأموي :

كان مقتل علي بن أبي طالب عهدا فاصلا بين عهدين واضحين، عهد الخلفاء الراشدين وعهد بني أمية وقد انعكس هذا بوضوح على الحياة الروحية في الإسلام.

---

[1] الريمي– التحذير من الدنيا – ص 120 .

[2] شوقي ضيف – التطور و التجديد في الشعر الأموي – منشورات جامعة البحث – القاهرة – 1994 –1995 م – ص 56 .

[3] المرجع نفسه – ص 56 .

وعلى هذا النحو انتشرت موجة النسك في الصدور كثير من الصحابة الذين رافقوا زاهد الأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وانتشر معها كثير من المجاهدات وخاصة في الصوم والصلاة، و وصف هذه الطائفة الحسن البصري .

فقال : " أدركت من صدور هذه الأمة قوما كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفرشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون مولاهم في فكاك رقابهم، لا شك أن هذه الطائفة هي طائفة الباكين، والخاشعين لله سبحانه و تعالى" [1] .

ومن المجاهدات التي نقرؤها كثيرا الحج إلى مكة لا على الإبل، وإنما مشيا على الأقدام، ويروى أن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين حج خمسا وعشرين حجة راجلا [2]، من هذا يتضح لنا أن الزهد اخذ يتحول إلى مشقة وتعذيب النفس، وهذا كله خوفا من العقاب يوم الآخرة .

فالشعر الأموي كتب في ظلال نفسية جديدة آمنت بربها، واستشعرت حياة تقية صالحة ، فيها تقوى وزهد .

وكمثال نذكر الفرزدق الذي تأثر بالإسلام ، فقد حضر هو والحسن البصري جنازة زوجه النوار، فقال له الحسن وهو بإزاء القبر : " ماذا أعددت لهذا المضجع ؟ قال
شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة" [3] .
فقال له الحسن هذا العمود فأين الطنب ؟ فقال في الحال : [4]

إذْ جَاءنِي يومُ القِيامَة قَائدُ عَنيف و سَوَّاقُ يَسُوقَ الفَرزْدَقَا
أخَافُ ورَاءَ القَبرِ، إنْ لَمْ يُعَافَى، أشَدَّ منَ القَبرِ الْتِهَابًا وَ أضْيَقَا

يتضح لنا أن الشاعر خائف لما سيلقاه في قبره، وهذا دليل على أنه يحمل نزعة إسلامية لأنَّ المؤمن الصادق هو الذي يخاف ملاقاة ربه.

كما يقول في هجاء إبليس[3]:

ألمْ ترنِي عَاهدتُ ربِي و إنِي لبَينَ رِتَاجِ قائمًا ومقَامُ

---

[1] شوقي ضيف – التطور و التجديد في الشعر الأموي – ص 56 .

[2] المرجع نفسه – ص 58 .

[3] المرجع نفسه ص 62 .

[4] الفرزدق– الديوان– ش–علي مهدي زيتون– م3– دار الجيل– بيروت– لبنان– ط1–1417–1997–ص 105

[3] الفرزدق – الديوان – ص341 .

عَلَى قَسمٍ لاَ أَشْتَمُ الدَهْرَ مُسلمَا ولا خَارجًا منْ فَيءِ سُوءٍ كلامُ
أَطْعنُكَ يا إبليسُ سبعينَ حِجةً فلمَّا انتهَى شَيبِي، وَ تم تمَامِي
فزَرتُ إلَى ربِي، وأيْقنْتُ أنَّنِي ملاقُ لأيَامِ المنُونِ حمَامِي

نجد الفرزدق هنا يهجو إبليس معبرا عن نزعة إسلامية كانت تشتمل عليها نفسه ومعنى هذا أن الحياة الدينية طورت الشعر الأموي، وأثرت أثرا عميقا في نفوس الشعراء غير أن نزعة الزهد في الشعر الأموي لم تظهر على أنها غرض مستقل بل أتت على شكل مقطوعات على ألسنة الشعراء .

4- الزهد في العصر العباسي :

تطور شعر التدين بتطور الحياة الروحية، ولم تلبث معالم الزهد أن تظهر فيما كان يتمثل به من ذلك الشعر. وأخذ يستجيب لهذه الأفكار الجديدة التي ظهرت الحياة الروحية في الإسلام . وأطلق على شعر التدين في صورته الجديدة اسم " شعر الزهد "، وهو طور جديد من أطوار شعر التدين، وهذا زاد من مكانة الشعر الزهدي في تلك الفترة أن أصبح له شعراء منقطعون للقول فيه، وهو شيء لم يكن لشعراء من قبل هذا العصر .

وكان شعراء الزهد في هذه المرحلة يركزون على معاني إسلامية كثيرة منها [2]:

1-***التوبة*** : في قول عبد الله المبارك :

رَأيتُ الذُنُوبَ تُمِيتُ القُلوبَ ويَتبَعُهَا الذُّلُ أزْمَانُهَا

2-التوكل

: وآيته القناعة بالله وحده دون سواه ، و في هذا يقول :

سفيان الثوري :

إنْ كُنتَ تَرْجُو اللهَ فَاقَتنعْ بهِ

فَعندَهُ الفَضْلُ الكَثيرُ البَشِيرُ .

3-القناعة : وآيتها التعلق بغنى النفس – من ذلك قول بشر بن الحارث :

قَالوا رَضَيتَ بِذَا ؟ قُلْتُ القَنُوعَ غِنَى ليسَ الغَنِيُ لِكَثرَةِ الأَموَالِ و الوَرقِ

4-

---

[2] مصطفى السيوفي– تاريخ الأدب في العصر العباسي – الدار الدولية للاستثمارات الثقافية –ط1 – 2008 م– ص 54 .

الانصراف : عن الدنيا لأنها غرورة خادعة، ومن ذلك قول ريحانة :

أرَى الدُنيَا لمَنْ هِي فِي يَدَيْهِ عذَابًا كُلمَا كَبُرَتْ لَدَيهِ

5-ذكر الموت : الخوف منه، والبكاء على الأيام الخوالي، لقول محمود الوراق:

بكَيتُ لِقُربِ الأَجَلِ وَبعْدَ فَواتِ الأَمَلِ

كل هذه المعاني الإسلامية تتعلق بالحياة و الموت و السلوك الإنساني التي يتخذ من الموت، وما بعده نعيم الجنة وجحيم النار سببا للاستقامة والقناعة و التعلق بالله .

ولربما أبرز من يمثل هذا الاتجاه في هذا العصر هو أبو العتاهية [1].

لم يمنع أن يكون لأبي العتاهية شعر في الغزل والمجون وقصائد في محبوبته " عتبة "، ولعله قال ذلك قبل أن يتزهد، وهو قليل، وقد ضاع أكثره [2].

ومن أسباب زهد أبي العتاهية :[3]

1- تقدمه في السن : فقد ترك أبو العتاهية المنادمة، ومال إلى الزهد بعد بلوغه سن الخمسين، وهذا طبيعي وهو شأن كل من تقدم به العمر .

2- معاصرته لأهوال ونكبات مختلفة، ولد أبو العتاهية قبل سقوط الدولة الأموية بالكوفة موطن الشيعة، وفتح عينه مبكرا على أهوال وويلات تركت أثرها الحاد في نفسه، فتولد له الإحساس الدائم بالموت .

فيقول في المنية :[1]

يا سَاكنَ الحُجُرَاتِ مَا لكَ غَيرُ قَبْرِكَ، مَسْكَنُ
اليومَ أَنْتَ مُكَاثِرٌ ومُفَاخِرٌ تتَزَيَنُ
وغَدًا تَصيرُ إلى القُبُ رِ مُحنَّطٌ ومُكَفَنٌ

---

[1] مصطفى بيطام – مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول – ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون – الجزائر – 1995 م– ص 208 .

[2] حامد حنفي دواد – تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول – ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون – الجزائر – ط2 – 1993 م– ص 25 .

[3] عروة عمر – الشعر العباسي و ابرز اتجاهاته و أعلامه – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 2010 م– ص 169 .

[1] أبو العتاهية – الديوان – ش – مجيد طراد – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – 1425هـ – 2004م –ص 382.

ونجد أبو العتاهية يطيل في عظاته ويستمد ذلك من القرآن الكريم و الحديث الشريف، ووعظ الوعاظ من أمثال الحسن البصري وقد وقف المبرد عند موعظة له يستهلها بقوله :[2]

أيا عَجبًا للنَاسِ في طُولِ ما سَهَوا وفِي طُولِ مَا اغْتَرُوا وغي طُول مالهَوْا

يَقُولونَ: نَرْجو الله، ثمَ افتَرَوْا بِهِ وَلو أنهمْ يَرجَونَ خَافوا لِمَا رَجَوا

ولأبي العتاهية آراء في الحياة ملخصها أن الدنيا مجمع أباطيل خداعة زائلة، حافلة بالمكر والخداع، والتقلب [3].

إن موجة الزهد لم تكن اقل حدة من موجة المجون ، فنجد كثيرا من شعراء ذلك العصر قد نظموا في هذا الغرض مثل أبو نواس.

نال أبو العتاهية منزلة قوته في غرض الزهد فنجده أحسن القول وصار شعره في ذلك مضرب من المثل والشيء الذي دل على شاعريته في هذا الجانب حينما نراه يتحدث عن القبر وأهوال الموت فنحس بنشوة تملأ القلب وتحرك العواطف.

يقول أبو العتاهية[4] :

أيَا نَفسُ! لاَ تَسْتَوطنِي دَار قُلْعَةٍ ولكنَ خُذي بالزَّادِ قَبلَ ارتِحَالكِ

أيَا نَفْسُ لاَ تَنْسِي كِتابكِ وَاذْكُرِي لَكِ الوَيلُ إنْ أُعْطَيْتِهِ بِشِمَالكِ

أيَا نَفسٌ! إنَّ اليَومَ يَومُ تَفَرُغِ فدُونكِهِ منْ قَبلِ يَومِ اشْتِغَالكِ

كما نجده يدعو إلى حياة الزهاد بقوله [2]

رَغيفُ خُبزٍ يَابسٍ تَأكلُهُ فِي زَاويَةٍ

وَكَوْزُ مَاءِ بَارِدٍ تشْربُهُ منْ صَافية

وغُرْفَة ضَيقَةٌ نَفسُكَ فيهَا خَاليَةٌ

---

(2) المرجع نفسه – ص 428 .

(3) محمد بزواوي – موسوعة شعراء العرب – دار هومة – الجزائر – ط1– 2010م – ص 342 .

(4) أبو العتاهية – الديوان – ص 274.

أو مَسجِدُ بِمَعْزَلٍ عنِ الوَرَى فِي نَاحِيةٍ
خَيرٌ منَ السَاعَاتِ فِي فِيءِ القُصُورِ العَالِيةِ

ومن قوله في الزهد :[3].

وأَفضَلُ الزُهدِ زُهدٌ كَانَ عن جدةِ وأفضَل العَفو عفو عندَ مَقدرةٍ
وأَسْتَغفرُ الله من ذَنبِي وأسألهُ عَيشًا هَنياً بأخلاَقٍ مُطَهرةٍ

ولا يقتصر أبو العتاهية على تصوير الدنيا وذكر الموت وما بعده بل يتناول بعض المعاني الدينية يرددها على طريقة الوعاظ من مثل عزة التقوى والخوف والرجاء ووجوب اجتماعها في المؤمن و سخف الطمع في عفو الله مع الوقوع في معصيته فمن

قوله :[1]

لَيسَ يَرجوا الله إلاَّ خَائفٌ من رَجَا خَافَ، ومنْ خَاف رجَا
قَلمَا يَنْجوا امرؤ من فتنةٍ عَجَبا ممنَ نَجَا كَيفَ نَجَا

غير أن ظاهرة الزهد تبقى ظاهرة نفسية ودينية كان لها أثر كبير في الشعر العربي عبر العصور، وأصبح غرضا قائما بذاته والدليل على ذلك هو كثرة القول في هذا الغرض من طرف الكثير من الشعراء منهم الإلبيري والعسال و ابن زمنين .

5-الزهد في العصر الأندلسي :

كان الميل إلى حياة الزهد في الأندلس منذ بداية القرن الثاني الهجري وفي أوساط علماء الشريعة خاصة، فابن الآبار في كتابه –التكملة– يصف الأسباط جعفر بن سليمان الذي ولاه هشام الرضا قضاء إلبيرة بالزهد والورع [2].

---

(2) المرجع نفسه – ص 230.

(3) المرجع نفسه – ص 92.

(1) أبو العتاهية – الديوان – ص 101 .

(2) عبد القادر هني– مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة – دار الأمل – تيزي وزو– الجزائر – ص 193 .

وبدأت العلوم الدينية في الأندلس بانتقال بعض الصحابة والتابعين حينما هم موسى بن نصير بغزو الأندلس وفتحها، فكان معه بعض الصحابة والتابعين [3]، أما بالنثيا فيذهب إلى أن الزهد والنسك في القرن الثاني بالأندلس كان : " أمر فرديا يقنع فيه الناسك بالعبادة ويجتهد في النجاة بنفسه ثم خرجوا بعد ذلك إلى عزلتهم واجتهدوا في دعوة الناس إلى سلوك طريقهم جعلوا يعظون الناس، فصار لهم أتباع، و بدأت حياة الزهد ،وحلقات النساك والزهاد تظهر في الأندلس كما كان الحال في المشرق " [4].

كما أن شعر الزهد في الأندلس ولد في أحضان الثورة على الحكم الربضي إذ كان الأتقياء ينظمون شعر الزهد و يتغنون به في الليل ومن بينهم قاسم بن نصير [1].

أي أن غرض الزهد كان شائعا في أوساط الناس والأتقياء و كانوا يستعملونه في التعبير عن ما يدور بداخلهم من حقد وكره على الدنيا .

وأصبح الزهد لدى بعض الأتقياء مذهبا أدبيا أخلاقيا ، كما كان عند أبو العتاهية .

يقول السميسر:[2]

جملـةُ الدُّنْيَا ذهَابٌ مِثْلَمَا قَالُوا سرَابُ
والذيْ فيهَا مُشِيدُ فَخَرَابُ وَيَبَـابُ
وأرىَ الدَّهْر بَخيلاً أبدًا فِيـهِ اضْطِرَابُ
سالِبٌ مَا هُو مُعْطٍ فالذِي يُعطِي عَذَابُ

نجد الشاعر هنا يدعو الناس إلى العزوف عن الدنيا و ملذاتها لأنها زائلة لا محال .

يقول أبو عمران المار تلي :[3]

إلىَ كمْ أقولُ فلاَ أَفعلُ فكَم ذَا أحُومُ ولاَ أنزِلُ

---

(3) أحمد أمين – ظهر الإسلام – ج1 – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط1 – 1425 هـ– 2005 م – ص 412 .

(4) عبد القاهر هني – مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة – ص 194 .

(1) إحسان عباسي – تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط6 – 1981 م – ص 116 .

(2) المرجع نفسه – ص 105 .

(3) سراج الدين محمد – الزهد في الشعر العربي – ص 75 .

وأزْجَرُ عَينِي فلاَ تَرْعَوِي وأنصحُ نفسِي فلاَ تقبَلُ
وكمْ ذَا أُومِلُ طولَ البقَا وأغْفلُ والمَوتَ لاَ يَغفُلُ

نجد الشاعر هنا يذكر الناس برهبة الموت وخوفه منه، وأن الموت لا يغفل أحد .

ونجد صنف آخر من شعر الزهد يصدر عن علماء أتقياء عاملين بعلمهم مثل ابن الريوالي الذي قال فيه الحميدي : " أنه فقيه مشهور عالم زاهد وله أشعار كثيرة في الزهد ".
ونموذج من شعره قوله :[1]

يَا معْجبًا بِعلاَئهِ و غِنَائهِ وَمُطَوَّلاً فِي الدَّهْرِ حَبْلُ رَجَائُهُ
كمْ ضَاحِكَ أكْفَانُهُ مَنْشُورَةٌ ومُؤْمِلُ والمَوتُ منْ تِلقَائِهِ

وقوله[2]:

أيامُ عُمرِكَ تَذهَبُ وَجَمِيعُ سَعْيكَ يُكتَبُ
ثُمَ الشَّهيدُ عَليكَ منكَ فأَينَ أينَ المَهرَبُ

والمراد من هذا النظم هو التذكير والوعظ، فالشاعر هنا يذكر الناس أن ملذات و شهوات الدنيا مهما طالت، فإنها زائلة، والمؤمن الصالح هو الذي يعمل لآخرته .

والزهد في الدنيا يدفع إلى التفكير في نهاية مطاف المرء، وكان هذا التفكير دافعا لكثير من الشعراء حتى الذين عاشوا حياة اللهو والترف.

كما طرق شعر الزهد باب الموشحات، ولعل أوضح أثر يتجلى في قصيدة زهدية ابن العسال زاهد قرطبة، المشهور بالكرمات وإجابة الدعوات.
يقول :[3]

أيَا منْ غدَا جاهِلاً نَاسكًا إنْ أحببتَ أنْ تَرَى هَالِكًا
فأَمَ إمَامُ الهُدَى مَالكًا أولاَتُكَ مَذهَبُهُ تَارِكًا

---

[1] إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطرائف و المرابطين – ص 107 .
[2] المرجع نفسه – ص 108 .
[3] عيسى خليل محسن – أمراء الشعر الأندلسي – ص 137 .

فمَذهَبهُ نَاشرٌ منْ كَفنِي لِمنْ كانَ فِي جَهْلِهِ قدْ دُفنَ

ويقول أيضا : [1]

أنظُرِ الدُنيَا فَانْ أَبصرْتهَا شَيئًا يَدُومُ
فاغْدُ منهَا فْي أَمَان إنْ يُسَاعدْكَ النَعيمُ
و إذَا أبْصرتَهَا منكَ علَى كُرهِ تَهِيمُ
فاسَلْ عَنهَا واطْرَحْهَا وارْتَحلْ حيثُ تُقِيمُ

المراد من قول الشاعر هنا هو التذكير بالضعف الإنساني أمام مغريات الحياة، ولكنه في نفس الوقت وعظ وتذكير بالتخلي عن المال والشهوات الدنيوية .

غير أن مصطفى السيوفي في كتابه – تاريخ الأدب الأندلسي– يرى أنه من بين الأغراض التي قصر فيها الأندلسيون عن المشارقة ولم يجاروهم فيها : شعر الزهد والحكمة [2].

أما عبد العزيز عتيق في كتابه – الأدب العربي في الأندلس – فيرى أن شعراء الأندلس

قد فاقوا المشارقة في شعر الزهد، من حيث غزارته وتوليد معاينة، ورسم صوره القوية المؤثرة .

وما يوضح ذلك قول أبو وهب العباسي القرطبي :[3]

أنَا فِي حَالتِي قدْ تَرَانِي
إنْ تَأمَلتَ أَحسَنَ النَاسِ حَالاَ
ليسَ لي كِسْوةُ أخَافَ عَليهَا
منْ مُغيرِ، ولنْ ترَى لِي مَالاً
أجْعَلُ السَاعَد اليَمينَ ِوسَادِي
ثمَّ أثَنِيَ، إذَا انقَلبْتُ الشمَالاُ

وخير قول الله في الحق لأن الدنيا دار فناء زائل والآخرة دار قرار، وهذه الحقيقة أثرها القرآن وأكدها الشاعر أبو بكر القرطبي بقوله :[1]

---

[1] إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – ص 109 .

[2] مصطفى السيوفي– تاريخ الأدب الأندلسي – الدار الدولية – القاهرة – ط1 – 2008 م– ص 317 .

[3] عبد العزيز عتيق – الأدب العربي في الأندلس – ص 220 .

لَعُمركَ مَا الدُّنيَا وَ سُرعَةُ سَيرِهَا
بِسُكَانِهَا إلاَّ طَرِيقُ مُجَازٌ
حَقِيقَتُهَا إنَّ المَقامَ بِغَيرِهَا
و لكِنَهُمْ قدْ أولَعُوا بِمَجَازِ

ويقول المعتمد بن عباد :[2]

أرىَ الدُّنيَا الدَّنِيةَ لاَ تُواتِي فأجْمِلْ فِي التَصَرُفِ وَالطُّلاَبِ!
ولَا يَغْرُرْكَ منهَا حُسْنُ بُرْدٍ لهُ عَلمَانِ منْ ذَهَبَ الذَّهَابِ
فأولُـهَا رَجَاءٌ منْ سَرَابِ وآخِرُهَا رِدَاءٌ منْ تُرَابِ

فالشاعر هنا يحاول أن يبين لنا بأن الدنيا متقلبة ومتناقضة عجيبة لا ترحم أحد مهما كانت صفته .

الـفـصل الـثّـانـي:

---

[1] سلمى سليمان علي – القيم الخلقية في شعر الأندلس عصر الطوائف و المرابطين – دار الآفاق العربية نصر– القاهرة – ط1 – 1428 هـ – 2007 م – ص 85 .

[2] المعتمد بن عباد – الديوان – تح – رضا الحبيب السويسي – الدار التونسية – 1975 م ص 152 .

ثنائية الخوف والرّجاء في شعر الإلبيري

1- ماهية الخوف
2- ماهية الرّجاء
3- ثنائية الخوف والرّجاء في شعر الإلبيري.

- ماهية الخوف :

أوردت المعجمات اللغوية معاني مختلفة، واشتقاقات متنوعة للفظة الخوف تجمع تلك المعجمات على أن الخوف يعني الفزع أو ما يضاد الأمن والأنس [1]، كما أن الخوف يعني الإحساس المضاد للاطمئنان لكونه البؤرة التي منها ينطلق البحث عن المسالك التي منها يقترب الإنسان من الله .

ومن الصيغ التي وقفت عندها المعجمات (خَوَفَ يَخُوفُ تَخْوِيفًا) وقالت في معنى خوفت الرجل : أي جعلت فيه الخوف.

والخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه [2].

أما الخوف من الناحية الاصطلاحية يعرفه "**عبد الله بن عجيبة**" في كتابه – معراج التشوف إلى حقائق التصوف– : "بأنه انزعاج القلب من لحاق مكروه أو فوات مرغوب وثمرته النهوض إلى الطاعة والهروب من المعصية"[3].

---

[1] جليل حسن محمد – الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام – ص 19

[2] محمد الغزالي – إحياء علوم الدين – ص 331

كما قال "**أبو القاسم الحكيم**" :" من خاف من شيء هرب منه، ومن خاف من الله هرب إليه "[4].

وقد وردت مفردة الخوف و مشتقاتها في (124) آية قرآنية بما تعنيه كل مفردة منها لكن كلمة خوف وحدها وردت (21) مرة ومشتقاتها(103) ويعتبر الخوف من أجل أعمال القلوب ويتضح ذلك في قوله تعالى : (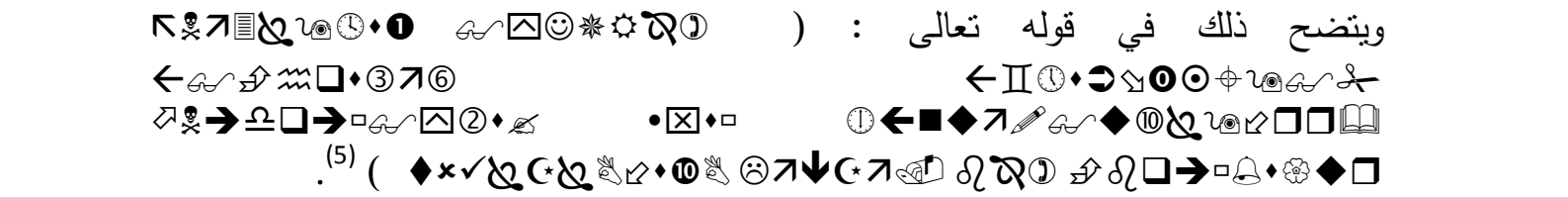) [5].

فالخوف من الله إذن هو معيار الإيمان للمسلم، وكذلك فإن من يؤمن بالله لا يخاف أي شيء .

كما ورد في قوله تعالى : ( ) [1].

ويرى "**الإمام محمد الشيرازي**" وهو يتحدث عن الخوف فيقول:

" الخوف في الحقيقة ناتج عن بعض الانفعالات لدى الإنسان بتأثير عوامل والخوف نوعين :

أ-خوف إيجابي : وهو خوف الإنسان من خالقه و هو خوف محمود حيث قال تعالى : ( ) [2].

---

[3] عبد الله بن عجيبة – معراج التشوف إلى حقائق التصوف – تح – عبد المجيد خيالي – مركز التراث الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – ط1- 1425 هـ – 2004 م – ص 28 .

[4] القشيري – الرسالة القشرية – ص 126 .

[5] سورة آل عمران – الآية 175 .

[1] سورة الجن – الآية –13 .

[2] سورة الرحمان – الآية 46 .

ب–خوف سلبي : وهو خوف الإنسان من المخلوق وهو خوف مذموم نهت عنه النصوص الشرعية، حيث قال عز وجل : (▫♦✍•☒♦▫ ❑➔▫✍⌧②♦•☒ ⇗☠➔♎❑➔▫✍⌧②♦✍ ❑◆❁♦🔔▫➔❑♌ ⓪✍ ☹↗🡻☪↗📫 ♌⓪ ✍♦⓫✍ ☹↗🡻☪↗📫 ♌⓪ ♦×✓♌☪♌) [3].

وحقيقة الخوف في قلب المؤمن أن ينزعج قلبه ويضطرب من توقع عقوبة الله وغضبه وانتقامه من ارتكاب محرم أو التفريط في واجب أو الغفلة .

وأن يخاف أن يكون حاله حال أهل النار واستقراره فيها، لذلك يعتبر الخوف سراج في قلب المؤمن.

حيث قال "**أبو سليمان الداراني**" : " ما فارق الخوف قلبا إلا خرب " [1].

وإذا أراد الله بعبدٍ خيرا قوى فيه جانب الخوف لأن ذلك يحثه على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزجع القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور .

أما أرسطو فيعتبر أن الخوف حزن أو اضطراب ناشئ عن تخيل شر داهم يسبب تدميرا وأذى .

وهو أيضا إشارة واضحة دالة على انفعالات نفسية تنتاب الإنسان فتوهن قواه وتعطل كفايته وتفقده توازنه [2].

وعرف علماء النفس الخوف بأنه قلق نفسي أو عصاب نفسي لا يخضع للعقل ويساور الإنسان بصورة جامحة من حيث كونه رهبة في النفس شاذة عن المألوف تصعب السيطرة عليها و التحكم بها .

وقد اختلف علماء النفس القدامى عن علماء النفس المحدثين حول ماهية الخوف فالقدامى اعتبروه غريزة إنسانية، بينما يتحدث علماء النفس المحدثين عنه كميل فطري

ويبقى الخوف حالة انفعالية ناتجة عن الشعور بعدم الأمن [3].

2–ماهية الرجاء :

---

[3] سورة آل عمران – الآية 175 .

[1] القشيري – الرسالة القشيرية – ص 65 .

[2] جليل حسن محمد – الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام – ص 30 .

[3] http/ :www.peregabriel.com-Saintamaria/ wode –.11:00 الأحد – الساعة

إن الرجاء في معناه اللغوي يعني الأمل وهو نقيض اليأس [4]، وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف.

فيقول ابن سيده : والرجاء الخوف .

وفي التنزيل العزيز :(✍□✌ ⬀⌨➚▤⬧⬩ ⬥⬥ ✍⬧❷⬀♉⬉❑♌⧫ ✏✶ ❐◆🔔⬧✍⑥✡✂) [1] .

قال الفراء : الرجاء في معنى الخوف لا يكون إلا مع الجحد .

تقول ما رجوتك أي ما خفتك .

قال بعض المفسرين في قوله تعالى : (و تَـرْجَـونَ مِـنَ الله مَـا لاَ يَـرْجُـوْن) .

معناه تخافون من الله .

أما الرجاء في معناه الاصطلاحي فهو سكون القلب إلى انتظار محبوب بشرط السعي في أسبابه وإلا فأمنية وغرور .

قال "**ابن الوراق**" : " الرجاء ترويح من الله تعالى لقلوب الخائفين، ولولا دلك لتلفت نفوسهم و ذهلت عقولهم "[2].

يقول الغزالي :[3]

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأنه أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له، الحب يغلب الرجاء .

لذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما في وقت الموت .

قال تعالى :(✉ 🔔➔✍⬀ ③⧫🕔➔♑⌨⧫✍⑩♑❽⍓ ✂✍✏⅄🔔♑⇦✖⧫ 📖❐⬄❸⬥▫➔❑✂☎ ⬉⧫✍■❼✂ 📖❐☼▦➔○⬁♑☠⬀ ⬥⬥ ✍⬧☽⬂☾⬥➲⬈❑✂☎ ❻▪❑⬀☝◆❑♑ ✂✍✏★ 🗐 ☽⬂♌❑ ③⧫⬄⬂▦♑❷⬉ ✂✍✏⅄ ✂✍✏🔔♋☼⬅❑⚇⌘ ♎⬧☝♑⓿➔🕐✍ 🗐

---

[4] ابن منظور – لسان العرب – ص 47 .

[1] سورة نوح – الآية 13 .

[2] عبد الستار محمد ضيف – شعر الزهد في العصر العباسي – مؤسسة المختار – القاهرة – مصر – ط1 – 1426 هـ – 2005 م – ص 145 .

[3] صفوت عبد الفتاح محمود – الخوف والرجاء – دار ابن حزم – بيروت – لبنان – ط2– 1424 هـ– 200 م.

(⇖☹⬈♉❍▪❷♑♌♐ ↓❻❑→▦⧫⬄♒♑♌♐ ◆❑➔♎ ⌚⬅❍❄☼♋♐) [4].

ومن الآيات التي تدعو إلى الرجاء قوله تعالى : (♐♋♌❑ ♐♌✍⬆⍓♉⇦◻⇨ ☎♐❑⇖❷⌧♉♌⌧♎ ⌘♊③☞⓿⬆♑♌♐◆❑ ☎♐❑⇖☪⧫✍♐◆⬈ ★✍♌♐ ⬀⌨⓿♋⌛⌧♒ ❼♋✗ ☎♐❑⬅⑨⌧♑⌚⌧♉◆❑ ✎★✍♌♐ ✾💣⌧☺⇳❍◆❻ ⧫♌❑⇖♉⬀❷⧫③ ⌧⌨✗⬦❄⌚⧫♑🕯❑⬆📖) [1].

وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف لقوله تعالى:(✌❑♌ ♑⧫▤⬈☞⬀ ⧫⧫ ✍⧫❷⬀♉⇖❑♌⧫ ✍★ ♐✡❻♌⧫♎◆❑) [2] بمعنى ما لكم لا تخافون من الله .

والرجاء في قلب المؤمن هو طمعه في نيل رضا الله ومحبته وثوابه من نعيم الجنة وطمعه في حال أهل الجنة، فقلب المؤمن معلق بنعيم الله وما أعده للمتقين في الآخرة، فالرجاء هو الطريق والسبيل الذي يسوق المؤمن ويجدوه لفعل الصالحات .

إذن فالرجاء هو الفضيلة الإلهية التي يقضيها الله في نفوسنا لدى قبول سر العماد، بها نأمل و نتوقع رحمة الله .

وإن العلم بسعة الرحمة يوجب الرجاء، ولهذا ثبت في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم : " لو يَعلمُ المُؤمِنُ مَا عندَ اللهِ منْ العَفويَةٍ مَا طَمِعَ بِجَنتهِ أحدٌ، ولو يَعلمُ الكَافرُ مَا عندَ اللهِ منَ الرَّحمةِ مَا قَنطَ منْ جَنتِهِ أحدٌ " .

قال "**يحيى بن معاذ**" : من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب من رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط .

فيقول : [3]

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلمْ تَسلُكْ مَسَالِكهَا

---

(4) سورة الزمر – الآية 53 .

(1) سورة البقرة – الآية 218 .

(2) سورة نوح – الآية 13 .

(3) محمد الغزالي – إحياء علوم الدين – ص 191 .

ِإنَّ السَفِينَةَ لاَ تَجْرِي علَى اليَبَسِ

والفرق بين الرجاء والتمني أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز .

والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه، والرجاء الحقيقي أن يخاف الراجي من فوات الجنة وذهاب حظه منها بترك ما يخاف أن يحول بينه وبين دخولها [1].

وللرجاء ثلاثة لوازم هي :[2] ***محبة ما يرجو.**

***خوفه من فواته .**

***سعيه في تحصيله بحسب الإمكان .**

لذلك قال صلى الله عليه وسلم : " منْ خَافَ أدْلجَ، ومنْ أدْلجَ بلغَ المَنزِلَ، ألاَ إنَّ سِلعَةَ اللهِ غَاليةٌ ، ألاَ إنَّ سِلعَةَ اللهِ الجَنةُ " [3].

والله سبحانه جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، كذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة، فأعلم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل الصالح.

قال تعالى :(﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾) [4].

---

[1] ابن قيم الجوزية – الروح – دار التقوى – منشية الحرية – شبرا – الخيمة – 2003 م– ص 259 .

[2] ابن قيم الجوزية – الداء و الدواء – دار ابن الجوزية – المملكة العربية السعودية – ط9 – 1425 هـ – ص 59 .

[3] المرجع نفسه – ص 60 .

[4] سورة المؤمنون من الآية 57 إلى الآية 61 .

لذلك يعبر المتصوفة عن أحاسيس الخوف والتيه والحيرة في الانتظار مع رجاء الوصل، والحديث عن مجاهدة النفس وطريق السالكين [1].

والصالحون يسابقون في الخيرات وهم يطمعون في رحمة الله ويخافون عذابه .

لذلك يقول ابن القيم : القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه .

فالخوف والرجاء للمؤمن بمنزلة الجناحين للطائر، إذا فقد أحدهما لم يستطيع التحليق.

3- ثنائية الخوف و الرجاء في شعر الإلبيري :

إن المتتبع للحياة الروحية التي كان يعيشها أبو إسحاق الإلبيري يلحظ نوعا من تهذيب النفس وترقيق الشعور والخوف والرجاء في شعره، وهذا كله ناتج عن تجربته الزهدية المثقلة بالخبرات الروحية، " ويبدو له أيضا أن قوى عالية قد غزته وشاعت في كيانه الروحي " [2].

وبما أن الإلبيري يقف مقام العبد بين الله عز وجل فإن حاله ستكون في مقام الخائف الراجي .

ويتضح ذلك من خلال الأبيات التالية التي يقول فيها :[3]

وَفي صِغَري تُخَوِّفُنِي المَنايَا ومَا تَجْري بِبالِكَ حِيْنَ شِخْتا

وكُنْتَ معَ الصِّبَا أَهْدَى سبيلاً فما لكَ بعدَ شَيْبِك قدْ نُكِسْتا

وهَا أنَا لم أَخُضْ بَحْرَ الخَطايَا كمَا قدْ خُضْتَهُ حتَى غَرِقتَا

ولا يقتصر الإلبيري على تصوير الدنيا وذكر الموت وما بعده، بل يتناول بعض المعاني الدينية يرددها على طريقة الوعاظ ويظهر ذلك في قوله : [1]

---

[1] حميدة البلداوي– قراءات أندلسية في الجهود النقدية و الظواهر الفنية و التجربة الشعرية – عماد الدين للنشر و التوزيع – عمان – 1430 هـ – 2009 م – ص 277 .

[2] عبد الرحمان بدوي – تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني – و كآلة المطبوعات – الكويت – ط2 – 1978 – ص 18 .

[3] أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 25.

[1] المصدر نفسه – ص 23 .

و بينهُمَا بِنصِ الوحْيِ بَوْنَ   سَتَعَلَمُهُ إذا " طـه " قَرَأْتا

لئنْ رَفَعَ الغنيُّ لواءَ مالٍ   لأَنتَ لواءَ عِلْمِكَ قد رَفَعْتا

وإنْ جلسَ الغَنيُّ علَى الحشَايَا   لأنَتَ علَى الكَوكبِ قَد جلَسْتَا

وإن ركبَ الجِيادَ مُسَوَّماتٍ   لأنْتَ مناهِجَ التَّقْوى ركِبْتا

كما أننا نجد الشاعر خائفا من اليوم الآخر يقول :[2]

فيا لَهْفِي علَى طولِ اغتِراري   ويَا وَيْحي منْ اليومِ العَصِيْبِ

إذَا أنَا لمْ أنُحْ نَفْسِي وأَبكِي   علَى حُوبِي بِتَهْتَانٍ سَكوبِ

ونجد بأن المغزى مأخوذ من قوله تعالى: (❒◆✃✍✍✎⅄🔔♑⇦×◆ ⓷↖⬧⬀✍⬧➔❑♌◆ ☟◆✍✎ ↗◆✃⬧✍⬧❑✃☎ ❒❑🔔➔◘➔❑⍈↘&↙☠⬀ ❒◆♉⬂✃⬧ӹ➘ 🕮❒✠❑&↙☠⬀ ☽♐♋🖫■❼🗐 ❻◆⍈♒&♒☠⬀ ❻◆⏲♉⬂➔↖❑♌◆) [3].

وبما أن الخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الأخر.

كما يقول الله عز وجل : (⓷◆⑨⇳↖↖❑♌◆ ❻◆⍈✹&↙☠⬀ ⌘⍓❑⬀▭☸✍ ❒◆✋♐☺●✍ ❒◆⊂⬩☺⍓➔✡✍ ❻◆♋⍓🔔⬂☪◆⏲♑←☠⬀ ⓷↖☪▦♐☽←❑♌◆) [4].

فنجد ذلك عند الشاعر في قوله [1]:

أنَا إنمَا أبكيْ الذُنوبَ وأسْرهَا   ومُنايَ في الشَّكوى مَنالُ فَكاكي

وإذَا بكَيْتُ سَألتُ رَبي رَحْمَةً   وتَجاوُزًا، فَبُكايَ غَيْرُ بُكاكِ

أي أن الشاعر يقف أمام ربه خائفا راجيا أن ينال العفو والرحمة من الله سبحانه و تعالى، كما قال تعالى :(⓷◆⌨⬀≣↗❑♍♎ ❒◆⓷◆❽⛝⓷⑨←♎➔⚐⬄ ⌘↗⌖➔❑↘✡🔔 ☽) [2]

---

[2] المصدر نفسه – ص 32 .

[3] سورة المؤمنون – الآية 60 .

[4] سورة السجدة – الآية 16 .

[1] أبو إسحاق الإلبيري – الديوان – ص 33..

قال أبو بكر الواسطي [3]:

" الخوف له ظلم يتحير صاحبه يطلب أبدا المخرج منه، فإذا جاء الرجاء بضيائه خرج إلى مواضيع الراحة، فغلب عليه التمني، ولا ينفع حسن النهار إلا بظلمة الليل، فيهما صلاح الكون فكذلك القلب مرة في ظلم الخوف أسير، فإذا طرق طوارق الرجاء ، فهو أمير " .

قال الإلبيري :[4]

لولاَ رَجاءُ العَفْوِ كنتُ كناقِعٍ بَرْحَ الغليلِ بِرْشفِ لَمْع الآلِ

شَابَ القَذالُ فآنَ لي أن أرعَوي لو كنتُ مَتَّعظًا بِشَيبِ قَذالِ

ولوْ أنَّني مُستَبصِرًا إذْ حلَّ بِي لَعَلِمْتُ أنَّ حُلولَهُ تَرْحالِي

فنَظَرْتُ في زَادٍ لدَارِ إقامَتِي وسَأَلتُ رَبّي أنْ يَحُلَّ عِقالِي

نجد الشاعر راجيا متمني من الله الفوز بدرجات العلا والنعيم المقيم وفي نفس الوقت نجده خائفا من مصيره.

قال تعالى :(﴿) [1].

فالخوف هو صفة المؤمن التقي الصالح، والأمان والثقة في النفس هي صفة المنافق لأن كل خائف هو تقي ورع .

والمؤمن يسير إلى ربه في هذه الدنيا لينال تواب الله ومرضاته، ويفوز بالجنة فيعبد الله حق عبادته في سائر حياته حتى يلقاه غير مبدل ولا مفتون .

وهذه الأعمال القلبية والمقامات الإيمانية تحدو العبد للعمل الصالح وتيسر سيره إلى الله وتحثه على المجاهدة والرباط في الطاعة وهذا ضمن مقامي الخوف والرجاء .

لذلك يقول "**النووي**" :

---

[2] سورة الإسراء – الآية ص 109

[3] عبد الستار محمد ضيف – شعر الزهد في العصر العباسي – ص 144.

[4] أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 39 .

[1] سورة الطور ، الآية 7 .

" اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفا راجيا ويكون خوفه ورجاؤه سواءا " [2].

قال تعالى :(❐◆❸◆⑨⇧↖↖❑☼♦✡❑〰 ❻◆➘☒⌛✡〰 ❐◆❻◆♎⌂⌛✡〰 ☎❐◆•🗎♤☼⇦❑✂☎ ◙〰♦☪◆〰 ⌘⌂🕛⌖🙰➔🙰✓▫🙵) [3].

كما أننا نجد الشاعر يرجو ربه في قوله :[4]

وَلولاَ أَنَّني أرْجُو إلاَهِي   ورَحْمَتَهُ يَئِسْتُ منَ الفَلاحِ

من خلال هذا البيت يتضح لنا أن الشاعر يرغب في القول بأن المؤمن لا يمل من الدعوة والتمني والرجاء من الله لأن الله غفور رحيم، والإنسان الراجي هو الإنسان المؤمن حق الإيمان.

والرجاء نقيض اليأس لذلك يقول سبحانه وتعالى :(⬀•• ✍♦☽⬂☪◆➲➚❑✂☎✌🙰♊ ❻▪❑⬀☟◆❑🙰 ✂〰✏★ 🗐 ☽🙱♌❑ ✂〰✏⅄ ③♦⇔⬂⊞▦🙰❷↖ ✂〰✏♤🙦☼⇦❑☸⌘ ♎•☟🙰⓿➔🕗〰 🗐 ☽🙱☼❋❍⇦🕛 ♎➔❑◆ ✂〰◙⊌⬂⇔♦⊞▦➔❑❻↓ ✂〰◙❷▪❍🙰➚☹↖) [1]

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو في النزع فقال :[2]

كيف تجدك ؟ فقال : أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي، فقال صلى الله عليه وسلم : " ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا و آمنه مما يخاف" .

لهذا فإن حال المؤمن يصلح بالأمرين معا و لا يستقيم خوف بدون رجاء [3].

والمؤمن مهما كثرت ذنوبه و تتابعت فإنه يثق في عفو ربه قال الإلبيري : [4]

---

(2) صفوت عبد الفتاح محمود– الخوف و الرجاء – ص 231 .

(3) سورة الأنبياء – الآية 90 .

(4) أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 44 .

(1) سورة الزمر – الآية 53 .

(2) محمد الغزالي – إحياء علوم الدين – ص 193 .

(3) محمد بن موسى أبو بكر الو اسطي من كبار الصوفية – أنظر عبد الستار – محمد ضيف – شعر الزهد في العصر العباسي – ص 144 .

(4) أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 46 .

(5) المصدر نفسه – ص49.

ولقَد يُخافُ عليهِمُ منَ رَبِّهِمَ يَومَ الجزَاءِ النَّارَ إلاَّ إنْ عَفَا

إنَّ الجَوادَ إذْ تطَلَّبَ غايَةً بَلغَ المدَى منهَا و بذَّ المُقْرِفَا

شتَّانَ بينَ مُشَّمرٍ لمعَادِهِ أبدًا وآخرَ لاَ يزالُ مُسَوِفًا

إنِّي دَعوتُكَ مُلحفًا لِتُجِيرَنيْ ممَّا أخَافُ فلاَ تَرُدَّ المُلحِفَا

و قال أيضا :[5]

إنَّ الذُّنوبَ بِتوْبةٍ تُمحَى كَمَا يَمحُو سُجودُ السَّهوِ غَفْلَةَ منْ سَهَا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[1]

" منْ خَافَ الله تعالىَ خَافهُ كلُ شيءٍ، وَمنْ خَافَ غيرَ الله خوفَهُ الله منْ كلِ شَيءٍ "

و قال أيضا : " أتَمكُم عَقلاً أشَدُّكَم خوفًا للهِ تَعالَى، وأحْسَنكُمْ فِيمَا أمَرَ اللهُ تعالَى بِهِ وَالأعْمَالُ بِالخَواتِيمِ " .

أي أنه يجب على المؤمن الصادق التقي أن يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلالته و أوصافه التي تقتضي الهيبة، فالخوف من الله هو صفة الصديقين .

فالمؤمن ذو القلب الحي معلق بنعيم الله وما أعده للمتقين في الآخرة، وجوارحه مسخرة للعمل الصالح، كما أنه يطمح بالفوز بالجنة لهذا الإلبيري يطمح في عفو ربه ورحمته .

فيقول[2] :

فعَسَى منْ لـهُ أُعَفِّر وجْهي سيَرَى فاقَتِي إليهِ فيَرْحَمْ

فشَفِيعي إليهِ حُسْنُ ظُنُونِي ورَجائي لـهُ، وأنَّيَ مُسْلِمْ

ولـهُ الحَمدُ أنْ هَدانِي، لِهذا عدَدَ القَطْرِ مَالحَمامُ تَرَنَّمْ

وإليهِ ضَراعَتِي وابْتِهالِي فِي مُعافاةِ شَيْبَتي منْ جَهَنَّمْ

---

[1] محمد الغزالي – إحياء علوم الدين – ص 211 – 212 .

[2] أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 51 .

كما قال :[3]

وأقْلَقنِي أنّي أمُوتُ مُفَرِّطَا علَى أنَّنِي خَلَّفتُ بعدَ لِذَاتِي

وأغْفَلتُ أمْرِي بَعدَهُمْ مُتتَبَطَا فيَا عَجبًا مِنِّي وَمنْ غَفَلاتِي

إلىَ اللهِ أَشكُو جَهلَ نَفسِي فَإنهَا تَميلُ إلِى الرَّاحاتِ و الشَّهواتِ

و يارُبَّ خِلٍّ كُنْتُ ذا صِلَةٍ لَهُ يرَى أنَّ دَفْنِي منْ أجَل صِلاتي

من خلال هذه الأبيات نلحظ أن الشاعر خائف من ملاقاة ربه إلا أننا نلمس رجاءا بأن ربه سيغفر له ذنوبه، لأن الخوف والرجاء هو معيار المؤمن الصالح التقي الذي يخاف ويخشى مقام ربه كما أنه يأمل بأنه غفور رحيم .

قال تعالى :(﴿ ﴾ [1])

من خلال قوله تعالى اقتبس الإلبيري قوله[2] :

إذَا رُوِّعَ الخَاطِي وطارَ فُؤادهُ وأفرِغَ رَوعَ البَرِّ فِي الغُرُفاتِ

و مَا يعرِفُ الإنسانُ أينَ وفَاتُهُ أفِي البَرِّ أمْ فِي البَحْرِ أمْ بِفَلاةِ

فيَا إخْوتِي مهمَا شَهِدتُم جَنازَتِي فقُومُوا لِرَبّي واسْألُوه نَجاتِي

وجودًا ابتِهلاً فِي الدُّعاءِ و أخْلِصُوا لعلَ إلاهِي يَقْبَلُ الدَّعَواتِ

يبدو الشاعر هنا خائفا من مصيره من خلال طلبه المغفرة والرحمة ورجائه من الله سبحانه و تعالى أن يسكنه المقام الحسن .

---

[3] المصدر نفسه ، ص 53 – 54 .

[1] سورة آل عمران – الآية 31 .

[2] أبو إسحاق الإلبيري – الديوان – ص 56.

[3] المصدر نفسه – ص 57 – 58.

كما قال :[3]

فمَازلْتُ أرْجُو عَفْوهُ وَ جِنَانَهُ وأحْمَدُهُ فِي اليُسْرِ والأزَماتِ

وأسْجُدُ تَعظِيمًا لهُ وتَذَلُّلاَ وأعْبُدُهُ فِي الجَهْرِ والخَلواتِ

ولستُ بِمُمْتَنٍّ عَليهِ بِطَاعَتي لهُ المنُّ فِي التَّيسِيْرِ للحَسَنَاتِ

يأمل الشاعر من خلال هذه الأبيات رحمة الله ، كما يعبر عن مدى عظمته و قدرته .

بما أن الزهد في حقيقة دعوة إلى العزوف عن متاع الدنيا وملذاتها وتجنب مغرياتها والتمسك بالعمل الصالح والسلوك القويم، وتأدية فرائض الله فإننا نجد الإلبيري يخاف من نسيان فرض أو السهو عن فعل خير فهو في معظم شعره خائفا و راجيا الرحمة، ويظهر ذلك في قوله :[1]

و فِي غَدٍ تُبْصِرُهُ آمِنَا لِخَوفِهِ اليَومَ منَ اللهِ

و يقول أيضا : [2]

دَارانِ لاَ بدَّ لـنَا مِنهُمَا بالفَضْلِ والعَدلِ منَ اللهِ

ولَسْتُ أدْري مَنْزِلِي مِنهُمَا لكنْ تَوكَّلتَ علَى اللهِ

فاعْجَبُ لِعَبدِ هذهِ حَالُهُ كيفَ نَبا عَنْ طاعَة اللهِ

وسَوْأتَا إنْ خابَ ظَني غَدَا ولمْ تَسَعنِي رَحْمَةُ اللهِ

وكنتُ فِي النَّارِ أخَا شِقْوَةٍ نَعُوذُ منْ ذلِكَ بـاللهِ

---

(1) أبو إسحاق الإلبيري– الديوان– ص 67 .

(2) المصدر نفسه – ص 68 .

يبدو الشاعر خائفا من مصيره بين الجنة والنار، كما أنه يطلب الغفران والرحمة آملا في تحقيق ما يصبو إليه من رضا الله وسعة رحمته، فالرهبة والخشية من الله تجعل الإنسان أكثر إيمانا وورعا وتقوى .

كما نجد الإلبيري يذكر الإنسان الغافل بيوم الحساب بتعظيمه ويدعوه إلى الابتعاد عن ملذات الدنيا الغرورة، وأن كل إمرئ سينال يوم الحساب ما عمل له في دنياه، فإن عمل خيرا سيكون مسكنه الجنة وإن عمل شرا سيكون مسكنه النار، إلا من رحم ربي.

فيقول : [1]

وغدَا بِمَيدَانِ السِّباقِ سَتَلْتقَي	فَيُرى الثَّقيلُ منَ الخَفيفُ الضَّامِرِ
واسَوأَتَا إنْ كُنتُ سُكُّيْتَا بهِ	أرْجو اللَّحاقَ علَى هَجِينٍ عاثِرِ
والوَيْلُ كلُّ الوَيلِ لِي إن لمْ يَكُنِ	مولاَي فِي تلْك الشَّدائِدِ ناصِرِي
إنِي لأشْكُرهُ علَى آلائِهِ	فَهوَ الوَفِيُ بِعَهْدِهِ للشَّاكِرِ
واليهِ أَضْرَعُ فِي إنابَة مُخْلَصٍ	فهو الذي أرجو لسد مفاقري

قال تعالى : (♦❷❒⚐✂◆↗◆❒ ➲🇬🇧🖋🖈 🗐🚫☒⬀⬩🕿 Ⅱ♦✍ ✍☐✍❒🕯⬩▫ ➲🇬🇧🖋🖈 ✍◆❶⬀☼❻⑨❧✍✂ ■☐🗐❑◆⑩◘♦↘💻✍✂ ☐♌🕭⌧⬩▫ ✂" ❻🖔♎ ♦☹↗➲⬩◘♈↘💻✍✂ ▤❽◆❒▫🕯🖂☺↘❧✍✂) [2].

وقال : (Ⅱ♦✍ ♦♌🕭☒🖅 ←⑨③🇬🇧❷↖③ ■☐🗐❑◆⑩🖂⬩↘❧✍✂ ♏✍◆❑🡐☼ ✍◆♒♦☞♦♈③🕭♾◆❒ ✍◆❶⬀☼❻⑨❧✍✂ ⇦⚐➔♎◆❒ ✍◘🖔❸🖔▫ ⬀☠←♋■🖬🕓🖂☺⇳↖❒🕮 ⬀☠🚫🖔⬀❸⬩❧🕭◑ 🖂🖮🚫✧❋🕓⬩❧🕯❒🡅🕮 ➲➲🕭🖈 ♦♌❑❶○🖂②⬀🖮↖③ •• ✍◘🖔❸🖔▫ 🚫☐♦❷➲⌘☞🖂✍✂ ❼🕭× ⬀☠🡐●❍▭ "▪↘⑩⬩❧ ♦×⇦🖔🕭✈🖉✍✂ ☎✂❑↖➔◆☪✽🕒 ✍♦✍ ☒❶🕭🖮🖂❍◆❒ ☎ ↓❻✍☐✡❧✍✂ ⬩◆🕭◑ ☎✂❑🡐☼✍•🖹 ✍☐✍ ➴✍🖔➲🕓♦🖃◆❒ ✍◘🖔❸🖔▫ ◑♦➔🖬🖂☺⬀➔♦③) [3] .

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري – الديوان – ص 81 – 82 .

[2] سورة النازعات من الآية 37 إلى الآية 39 .

[3] سورة هود من الآية 15 إلى الآية 16 .

من خلال هذه الآيات اقتبس الشاعر قصيدة النار التي حاول فيها تخويف وترهيب الكافرين لأن الإنسان الذي يعمل في دنياه شرا، ولا يعمل ما أمر به الله ولا رسوله سيكون مأواه النار ولا ينفع يومئذ لا الرجاء ولا الندم .

قال الإلبيري : [1]

ويْلٌ لأَهلِ النَّار فِي النَّارِ ماذَا يُقَاسُون منَ النَّارِ

تَنْقَدَّ منْ غَيظِ فَتَغْلَي بِهمْ كَمرْجَلٍ يَغْلَي علَى النَّارِ

فَيَسْتَغِيثُونَ لكَي يَعْتَبُوا ألاَّ لَعًا منْ عَثْرَةِ النَّارِ

و كُلهُمْ مُعْتَرفٌ نَادمٌ لَوْ تُقبَلُ التَّوبَةُ فِي النَّارِ

إلا أن أبو إسحاق الإلبيري لا ييأس من رحمة ربه و عفوه لأن الإنسان الصالح هو الذي لا ينسى أن الإسلام دين يسر و ليس دين عسر.

فيقول : [2]

إنَّا إلَى اللهِ لقدْ حاَقَ بِي ما يُورثُ الخِزْيَ غَدًا والحُزنْ

والحَمدُ لله فَفِي كَفِّهِ مَنْحُ لَمِنْ شاءَ و فيهَا المِنَنْ

وهُو الذّي أَرْجُو فإنْ لمْ يَكُنْ عندَ رَجائِي فيهِ طولاً فَمنْ ؟

يتساءل الشاعر إن لم يكن طلب الرجاء والعفو من الله فمن من يكون هنا يشير الإلبيري إلى أن الإنسان مهما ابتعد عن ربه وعصاه فإنه عائد إليه لا محال لان الله وحده هو مسبب الفرج .

و بما أن الإلبيري من الشعراء الأتقياء فإنه كان شديد التقوى والصلاح، وكان أيضا لا يقف ضعيفا أما مغريات الحياة وملذاتها، محاولا مكافحة الشهوات وهذا كله بإيمانه القوي وثقته بمقام ربه، وبما أنه كان يأمل أن ينال مقام الأتقياء وهي الجنة كان خائفا أن يكون مصيره النار فكان معظم شعره يمتاز بالخوف والرجاء فتارة تجده خائفا من ملاقاة ربه وفي آن واحد تجده راجيا عفوه وأن ينال أعلى مقام .

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري– الديوان – ص 90 .

[2] المصدر نفسه – ص 104 .

يقول : [1]

أتيتُكَ رَاجيًا ياذَا الجَلالِ ففَرِّجْ مَا ترَى منْ سُوءِ حَالِي

عَصَيتُكَ سَيدِي وَيْلي بِجَهْلِي وعَيْبُ الذَّنْبِ لمْ يَخْطُرْ بِبَالِي

إلاَّ منْ يَشتَكِي المَملُوكُ إلاَّ إلىَ مَولاَهُ يَا مَولَى المَوالِي

لَعَمْرِي ليْتَ أمِي لمْ تَلِدنِي ولمْ أُغضِبكَ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي

فهَا أنَا عبدُكَ العَاصِي فَقِيرُ إلىَ رُحْمَاكَ فَاقْبَل لِي سُؤالِي

فإنْ عَاقبْتَ يا رَبِّي تُعَاقِبْ مُحِقًّا بالعَذابِ وبالنَّكالِ

وإنْ تَعفُو فَعَفوكَ قدْ أرَانِي لأفْعَالِي وَأوزارِي الثِّقالِ

لقد أضاء الإسلام قلوب المؤمنين بمثالية روحية كريمة كلها عبادة وتأمل وتوصل إلى الله، ومجاهدة للنفس من عروض الدنيا وملذاتها وطلب للآخرة وحلوتها وكل هذا نجده عند الإلبيري الذي عاش حياته طالبا الله المغفرة والرحمة خائفا من إرتكاب الفواحش والمعاصي

ومن خلال كل هذا يتضح لنا أن الرجاء لا يصح بدون خوف ولا يصح الخوف بدون رجاء فهما جناحان لقلب المؤمن لذلك يقول الغزالي : [2]

" جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة، فلا يقود إلى قرب الرحمان وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف و سطوات التعنيف " .

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري – الديوان – ص 119 .

[2] محمد الغزالي – إحياء علوم الدين – ص 308 .

لـقد قمنا في هذا البحث بتتبع حياة الشاعر أبو إسحاق الإلبيري وتبين لنا من خلاله أن :

– الشاعر الإلبيري حامل كتاب الله قلبا وقالبا، فهو الجدير بإدارة حياة الزهاد والدعوة إلى الصلاح والوعظ.

– كما تبين لنا أن القرآن الكريم عند الشاعر سهل المنال ليس فيه أية صعوبة وهذا كله راجع لثقافته وغزارة علمه.

وقمنا في هذا البحث بتتبع نزعة الزهد عبر العصور، فحاولنا التعرف عليها وعلى مدى ازدهارها وتطورها.

وتبعا لذلك رأينا أن ندرس دوافع الزهد وإلى أي مدى أثرت على نموه وتطوره.

واتبعنا في ذلك المراحل التالية:

– كشفت هذه الدراسة على أن الزهد ظاهرة ضرورية تشيع في المجتمعات الإنسانية ضمن ما يشيع فيها من ظاهرات، وتوصلنا أيضا إلى أن للبيئة وما يظهر فيها من تقدم حضاري وإزدهار إقتصادي ونمو ثقافي وما يحدث من إضطرابات وإختلافات أثر في نمو هذه الظاهرة وإزدهارها .

– تبين لنا أن هذه النزعة في أدب العصر الجاهلي متمثلة في الحكمة والتدين، وقد حفظ الشعر العربي هذه المظاهر وعبر عنها بما يتلائم وبساطتها، وكان لكل مظهر شعرائه الذين يتناولونه بالتعبير والتصوير فيما يتناولونه من أغراض الشعر الأخرى دون أن يكون لهذه النزعة إستقلال في التعبير.

وجاء الإسلام ولكنه نزع في الروحية نزعا معتدلا لا إفراط ولا تفريط بالرغم مما جاء به الإسلام من تعاليم جديدة كانت أعمق أثرا في نفوس العرب إلا أنها لم تلهم الشعر العربي شيئا يعتد به من الناحية الروحية.

أما في العصر الأموي فقد نشط الشعر وقوي تبعا لظروف وتيارات مختلفة، وصار يشارك الحياة الأموية ومشكلاتها في الكثير من الأحيان، وظهرت له فنون أخرى غير التي عالجها في العصر السابق، وظهر ما يسمى بشعر التدين إلا أنه لم يستكمل نموه وإزدهاره وإستقلاله عن فنون الشعر الأخرى.

وأثبتت الدراسة أن العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية التي حدثت في العصر العباسي أثرا في نمو الزهد وازدهاره.

غير أن شعر الزهد في الأندلس إنتشر إنتشارا واسعا، وكان لهذا الانتشار بواعثه ودوافعه، من ذلك فوضى الحياة السياسية والفتن والقلاقل، وهذا ما دفع شاعرنا الإلبيري إلى إتباع هذا الغرض في الشعر والعزوف عن الدنيا وملذاتها.

كما تطرقنا إلى مفهوم الخوف والرّجاء والعلاقة الموجودة بينهما وتوصلنا إلى نتيجة مفادها أن لا خوف من دون رجاء ولا رجاء من دون خوف.

كما اتضح لنا أن شاعرنا الإلبيري من أهم الشعراء الزهاد الذين حاولوا التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بجميع السبل لينالوا مقام العزة والرفعة ولينال المقام الذي يرجوه كل مؤمن صادق وهو جنة الخلد.

وتبين لنا أيضا من خلال هذا البحث أن الخوف والرجاء هما معيارا الإيمان للمسلم لذلك على المؤمن الصادق أن يتمسك بهما للوصول إلى المقام المرجو.

واتضح أن الخوف والرجاء متلازمان لا يمكن الفصل بينهما فهما وجهان لعملة واحدة.

وفي الأخير فالدنيا مزرعة الآخرة فعلى المرء أن يعمل فيها ويكد ويجهد نفسه وينتظر بعد ذلك ثمار عمله، ويرجو مغفرة ربه، والعبد في حالة الطاعة يرجو دخول الجنة، وفي حال المعصية يرجو قبول التوبة، لأن المؤمن الصادق لا يفقد الأمل في مغفرة ربه .

وهذا كله لا يصلح بدون خوف من أن يرتكب المعاصي والذنوب وبدون رجاء في سعة رحمة الله ومسامحته لعباده.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

2- ابن الآبار – **<u>التكملة لكتاب الصلة</u>** – المطبعة الشرقية – الجزائر – ع 3 – 1337هـ – 1919م .

3- البخاري – **<u>صحيح البخاري</u>** – مكتبة الصفا – القاهرة ط1 – 1423هـ – 2003م

4- إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي – **عصر الطوائف والمرابطين** – دار الشروق – عمان –الأردن – ط1 – 1997م .

5- إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي – **عصر سيادة قرطبة** – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط6 – 1381م .

6- أحمد أمين : **ظهر الإسلام** – ج1 – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط1 – 1425هـ – 2005م .

7- أبو إسحاق الإلبيري – **الديوان** – تح – محمد رضوان الداية – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط1 – 1396هـ – 1976م .

8-الأصفهاني – **الأغاني** – دار الكتب – 1950م

9- امرؤ القيس – الديوان – تح – حنا الفاخوري – دار الجيل – بيروت.

10- أمليو غرسيا غومس – **مع شعراء الأندلس والمتنبي** – تح – الطاهر أحمد مكي – دار الفكر العربي – القاهرة – مصر ط3 – 2004م .

11- أبو العتاهية – **الديوان** – مجيد طراد – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – 1425هـ – 2004م.

12- أنخل بالنثيا – **تاريخ الفكر الأندلسي** – تح حسين مؤنس – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – مصر.

13- جودي عبد الحميد – **الزهد في شعر أبي إسحاق الإلبيري** – إشراف الدكتور فورار محمد لخضر – جامعة محمد خيضر – بسكرة – قسم الأدب العربي– مذكرة ماجستير.

14- عبد الحكيم الوائلي – **موسوعة شعراء الأندلس** – دار أسامة – عمان – الأردن – 2000م.

15- عبد الله بن عجيبة – **معراج التشوق إلى حقائق التصرف** – تح – عبد المجيد خيالي – مركز التراث الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – ط1 – 1425هـ– 2004م .

16- حامد حنفي داود – **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول** – ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون – الجزائر – ط2 – 1993م .

17- الحنبلي البغدادي – **جامع العلوم والحكم** – دار ابن حزم – بيروت – لبنان – ط2 1424هـ – 1997 م .

جليل حسن محمد – الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام – دار دجلة – المملكة الأردنية الهاشمية – ط2 –2009م.

18- عبد الرحمان بدوي – **تاريخ التصوف الإسلامي من بداية حتى نهاية القرن الثاني** – وكالة المطبوعات – الكويت – ط2 – 1978م

19- عبد الرحمان عبد الحميد علي – المعلقات من منظور النقد الحديث – دار الكتاب الحديث – القاهرة – 1431هـ – 2010 م.

20- الريمي – **التحذير من الدنيا** – دار الإمام مالك – باب الوادي – الجزائر – 1432هـ – 2011 م .

21-عبد الستار محمد ضيف – **شعر الزهد في العصر العباسي** – مؤسسة المختار – القاهرة – مصر – ط1 – 1426 هـ – 2005 م .

22- سراج الدين محمد – **الزهد في الشعر العربي** – دار الراتب الجامعية – بيروت – لبنان .

23- ابن سعيد – **المغرب في حلي المغرب** – تج – شوقي ضيق – دار المعارف – القاهرة – مصر – ط4 .

24- سلمى سليمان علي – **القيم الخلقية في الشعر الأندلسي** – عصر الطوائف والمرابطين – دار الآفاق العربي – القاهرة – مصر – ط1 – 1428 هـ- 2007 م

25- شوقي ضيف – **تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي** – دار المعارف – القاهرة – مصر ط23 – 2007 م .

26- شوقي ضيف- **التطور والتجديد في الشعر الأموي** – منشورات جامعة البحث – القاهرة – مصر – 1994 م – 1995 م .

27- الشنقيطي – **شرح المعلقات العشر** – دار الغد الجديد – القاهرة – المنصورة – ط1 – 1428هـ – 2007م .

28- صفوت عبد الفتاح الفاتح محمود – **الخوف والرجاء** – دار ابن حزم – بيروت – لبنان ط2 – 1424 هـ – 2003 م .

29- الضبي – **بغية المتلمس في تاريخ الأندلس** – تح – إبراهيم الأبياري – دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان –ج1.

30- الطاهر أحمد مكي – **دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة** – دار المعارف – القاهرة .

31- عادل جابر صالح – شفيق محمد الرقب – **تاريخ الأدب العربي القديم** – دار صفاء – عمان – الأردن – ط1 – 1431 هـ – 2010 م .

32- العربي دحو – **الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية الرستمية الإدريسية** – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1994 م.

33- عروة عمر – **الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه** – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 2010 م .

34- عبد العزيز عتيق – **الأدب العربي في الأندلس** – دار النهضة العربية بيروت – لبنان – ط1 .

35- علي الجرجاني – **التعريفات** – تح – نصر الدين التونسي – القاهرة – ط1 – 2007 م .

36- علي محمد سلامة – **الأدب العربي في الأندلس تطوره** – موضوعاته – وأشهر أعلامه – الدار العربية للموسوعات – بيروت – لبنان .

37- الفرزدق – الديوان – ش علي مهدي زيتون – م3 – دار الجيل – بيروت – ط1 – 1417هـ –1997م.

38- فورار محمد بن لخضر – **الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية** – دار الهدى – عين مليلة – الجزائر – 2008 م .

39- فوزي عيسى – **الأدب الأندلسي** – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – القاهرة – 2011 م .

40- فوزي عيسى- **الشعر الأندلسي في العصر الموحدين** – دار الوفاء – الإسكندرية – ط1 – 2007 م

41- عبد القادر هني – **مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة** – دار الأمل تيزي وزو – الجزائر .

42- القشيري – **الرسالة القشيرية** – وضع حواشيه خليل المنصور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1998 م .

43- ابن القيم الجوزية – **الروح** – دار التقوى – منشية الحرية – شبرا – الخيمة – 2003 م.

44- ابن القيم الجوزية – **الداء والدواء** – دار ابن الجوزية – المملكة العربية السعودية – ط9 – 1425هـ .

45- ابن القيم الجوزية – **فوائد الفوائد** – دار ابن الجوزية – المملكة العربية السعودية – ط2 – 1418 هـ – 1997 م .

46- لسان الدين بن الخطيب – **الإحاطة في أخبار غرناطة** – تح – محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط1 – 1394هـ – 1974 م .

47- محمد بوزواوي – **موسوعة شعراء العرب** – دار هومة – الجزائر– ط1 – 2010 م

48- محمد حسين قجة – **محطات أندلسية** – دار السعودية – جدة – السعودية ط1 – 1985 م.

49- محمد عويس – **من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي** – مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة – مصر – ط1 – 1986 م .

50- محمد مجيد السعيد – **الشعر في العهد المرابطين والموحدين** – دار الراية – عمان – الأردن – ط3 – 1428 هـ – 2008 م .

51- محمد الغزالي – **إحياء علوم الدين** – م 4 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1423هـ – 2003 م .

52- المدخلي – **الوصايا والزهديات والرقائق** – دار الميراث النبوي – الدار البيضاء – الجزائر – 1433 هـ – 2012 م .

53- مصطفى بيطام – **مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول** – ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون – الجزائر – 1995 م.

54- مصطفى السيوفي – **تاريخ الأدب الأندلسي** – الدار الدولية – القاهرة – ط1 – 2008 م .

55- مصطفى السيوفي – **تاريخ الأدب في العصر العباسي** – الدار الدولية للمستثمرات الثقافية – ط1 – 2008 م .

56- المعتمد بن عباد– **الديوان** – تح – رضا الحبيب السويسي – الدار التونسية – 1975 م

57- مقداد رحيم – **رثاء النفس في الشعر الأندلسي** – دار جهينة – عمان – الأردن – ط1 – 1427 هـ – 2007 م .

58- المقري – **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** – دار صادر – بيروت – لبنان – م4 – 1388 هـ – 1968 م .

59- ابن منظور – **لسان العرب** – م 3 – دار صادر – بيروت – لبنان ط1 – 19997 م .

60- ياسين الأيوبي – **أفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** – دار جرس برس – طرابلس – لبنان – ط1 – 1415 هـ – 1995 م.

المجلات :

61 – مجلة المخبر – **أبحاث في اللغة والأدب الجزائري** – مكتبة الوطنية الجزائر – ع3 – 2006 م .

الانترنت :

62 - H ttp / W W W per egabriel .com -Saintamaria /wode
– 11:00 الأحد

فهرس الموضوعات

العنـوان ***الصفحة***

مقدمة ..... أ/ج

مدخل : حياة الشاعر: 04

1- حياة الشاعر:..... 05

2- آراء بعض المؤرخين حول الشاعر وشعره :..... 11

3- دوافع زهد الإلبيري :..... 12

4- شعره :..... 14

الفصل الأول : ماهية الزهد وحضوره في الشعر العربي ..... 17 / 43

1- الزهد لغة 17

2- الزهد اصطلاحا 18

3- دوافع الزهد..... 22

4- الزهد في الشعر العربي:..... 25

– الحياة الروحية قبل الإسلام 25

– الزهد في صدر الإسلام 30

– الزهد في العصر الأموي 33

– الزهد في العصر العباسي 34

– الزهد في العصر الأندلسي 38

الفصل الثاني: ثنائية الخوف والرّجاء في شعر الإلبيري ..... 44 / 61

1– مـاهية الخوف 45

2– مـاهية الرّجاء 47

3– ثنائية الخوف والرّجاء في شعر الإلبيري 51

الخـاتمة 62

قائمة المصادر والمراجع 66

فهرس الموضوعات 74